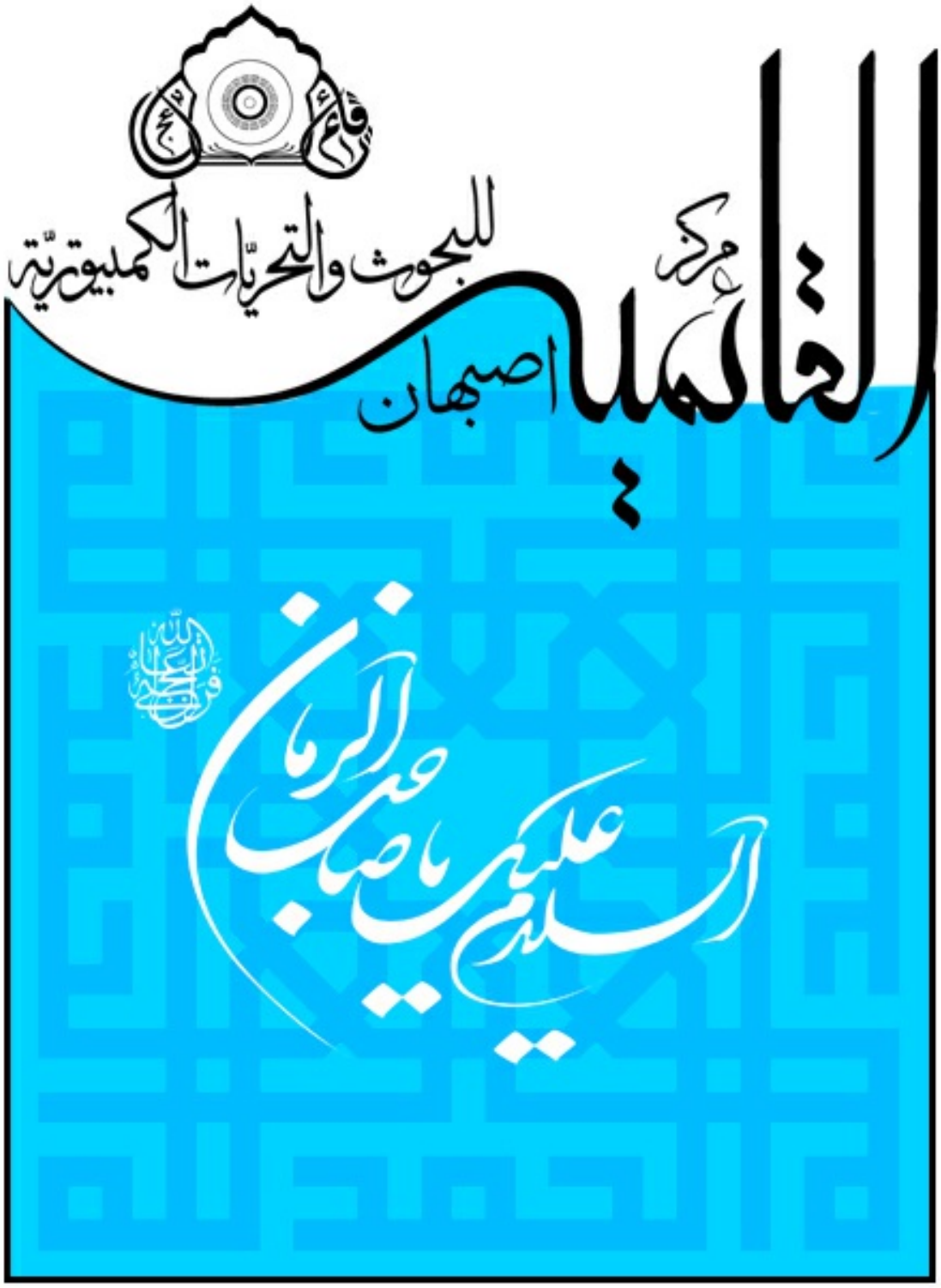

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الظاهرة الحسينية

تأليف

السيد محمد علي الحلو

٤٧

بسم الله الرحمن الرحیم

الظاهره الحسينيه

كاتب:

محمد على الحلو

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

الظاهره الحسينيه 8

اشارة 8

اشارة 8

الإهداء 12

المقدمة 14

التجليات 16

اشارة 16

ألف – ظاهرة التاريخ التضحوى 16

اشارة 16

ظاهرة سعيد بن عبد الله الحنفى أو ظاهرة التضحية من أجل القيادة 17

ظاهرة عابس الشاكرى أو ظاهرة الوقوع على الموت 17

وظاهرة عابس الشاكرى تلخص بهذا الموقف 17

ظاهرة واضح وأسلم وظاهرة فناء الذات 18

باء – ظاهرة الحاضر الحسينى 20

اشارة 20

القاعدة التأسيسية 20

اشارة 20

أوّلا: ظاهرة التضحية الشعائرية على المستوى الفردى 22

اشارة 22

1– ظاهرة الدم العاشورائى 23

2– ظاهرة لطم الصدور 25

3– ظاهرة البكاء الحسينى أو حالة الاستيحاء الشعائرى للذات 25

ثانيا: ظاهرة التضحية الشعائرية على المستوى الاجتماعى 27
ثالثا: الظاهرة السلوكية الشعائرية 28
اشارة 28
1- التكافل الاجتماعى 28
2- ظاهرة السخاء الجماعى أو الفردى 29
3- ظاهرة البناء الثقافى 30
4- ظاهرة السلام والتعايش 31
5- ظاهرة القيادة الذاتية 33
6- ظاهرة العبادة الشعائرية 33
7- ظاهرة المرأة الشعائرية 35
ظاهرة الثورية 38
ظاهرة الألم 42
ظاهرة الإيثار 44
ظاهرة الشجاعة 48
ظاهرة الصبر 51
الظاهرة الثقافية 53
الظاهرة الإعلامية 60
اشارة 60
الإعلام المضاد 63
الظاهرة القرآنية 64
اشارة 64
الظاهرة القرآنية قبل الشهادة 65
الظاهرة القرآنية ما بعد الشهادة 67
القرآنية الزينبية 70
الزيف المفضوح 71

الظاهرة القرآنية وأدبيات الثورة الحسينية ---- 73
الظاهرة القرآنية فى شعر صالح الكواز ---- 74
الظاهرة القرآنية.. الثقافة القرآنية ---- 100
الظاهرة الأدبية ---- 101
اشارة ---- 101
خلق الإبداع الشعرى فى مدرسة أهل البيت ---- 103
الشعر الحسينى فى حلبة الإبداع ---- 105
الظاهرة الاجتماعية ---- 120
اشارة ---- 120
الظاهرة... المشاهدات والتجليات ---- 127
الظاهرة الترفيهية ---- 127
الظاهرة الاقتصادية ---- 131
المحتويات ---- 134
تعريف مركز ---- 145

الظاهره الحسينيه

اشارة

رقم الإيداع فى دار الكتب والوثائق ببغداد

لسنة 2011 __ 166

الحلو، محمد على، 1957- م.

الظاهرة الحسينية / تأليف محمد على الحلو. – كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، 1432ق. = 2011م.

112 ص. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة؛ 47)

المصادر فى الحاشية.

1. الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4 - 61 ق. - مراسيم العزاء - دراسة وتعريف. 2 . واقعة كربلاء، 61ق. - شعائر ومراسيم مذهبية - دراسة وتعريف. 3 .الشيعة - شعائر ومراسيم مذهبية. 4. عاشوراء - فلسفة - روابط - مأتم العزاء . 5 . الحسين بن على (ع)، 4 - 61ق. - أصحاب - 6 . واقعة كربلاء، 61ق. والنساء المسلمات . 7 . المجالس - آداب ورسوم . ألف . العنوان.

BP 260 / 308 / ح8 ظ6

تمت الفهرسة فى مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

ص: 1

اشارة

ص: 3

الظاهرة الحسينية

تأليف

سيد محمد على الحلو

إصدار

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

فى العتبة الحسينية المقدسة

وحدة الدراسات التخصيصة فى الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1432هـ - 2011م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: 326499

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

الإهداء

إلى كل الشعائريين..

الذين سقطوا فى محراب الشهادة الحسينية..

إلى الخطباء والرواديد

وإلى كل مشاة كربلاء الذين ضرجوا أرض الطفوف بدماء المعارضة

والإصرار.. إلى اللذين علمانى تراتيل الولاء

وهمسا فى أذنى وصيتهم الأخيرة..

«ابد والله ما ننسى حسينا»

أبى وأمى

إلى روحيهما المتعلّقتين فى فناء الحسين..

قارئى العزيز:

ستجـد ان بحوثنـا هـذه لـم تعتمـد على مصـادر معينـة فى تعزيز الفكرة وإرسائها, فالبحث يعتمـد على المشاهـدات الوجدانيـة فضـلا عن المرتكزات العامة التى سيجدها القارئ مخبوءةً فى مطاوى الذاكرة؛ والبحث مجرد تحفيز لذاكرة القارئ وتقريرٌ لوجدانياته ومرتكزاته.

المقدمة

إنى أقف الآن على أعتاب دراسةٍ جديدةٍ وخطيرة دون ان ألج فى أعماقها, فهى دراسةٌ اجتماعية, تاريخية, سياسية, اقتصادية, إلى غير ذلک من الأبعاد الحياتية, وهى دراسةٌ ترتبط بالشعور العام لدى أتباع أهل البيت عليهم السلام، وهى كذلک تنظر لحركةٍ علميةٍ – عملية تأخذ التاريخ إلى أبعاده وأغواره، ثم هى تحيل البحث إلى حاضرٍ مقروء ومستقبلٍ منظور يستميح الزمن عذرا ان يجعل أحد أبعاده تتراوح بين زمنٍ أولد الحادثة وقد مضى, وزمنٍ يستعيدُ الحادثة شخوصا ومواقف, وإذا كانت القضية المبحوث عنها الآن تختم الزمن بكل دقائقه الماضية منها والحاضرة فيها والقادمة إليها بظاهرةٍ استقطبت إليها المثل, وتزاحمت فى صياغتها المبادئ لتصيغها على أنها ظاهرة, وتعنونها على أنها قيادة أُمة وصياغة إنسان فإن الظاهرة الحسينية تنشط فى مخيلة الإنسان كما أنها تعزز فى حركته, ثم هى تبدو مشخصة فى كل أطوار تعاملاته, فيجدها فى رجلٍ, أو يتحسسها فى طفولة بريئة, أو يقرأها فى عنفوان شباب, أو يستمع إليها فى عفة امرأة, أو يجدها لدى شيخ كبير احدودب ظهره لتشمخ همته إلى أقاصى الفتوة مسترجعاً طاقته ليبدع فى كثير, وهى – أى الظاهرة الحسينية – يقرأها فى شارع, أو يصادفها فى سوق أو تمثل له فى لافتةٍ تلفت إليها أنظار المارة، وهم يستشمون فيها عبير كربلاء, وبين هذه المترامیات من الإحداث, والمتباعدات من المواقف تجتمعُ لدى أى

إنسان مواد الظاهرة الحسـينية فيقرأها فى كل يوم دون أن يُصغى إلى عنوان الظاهرة أو يلتفت إلى حضورها فى كل أحايين حياته, فهو يدخل فى برنامجها التنظيرى ويعمل على إيجادها ويسعى فى صياغتها دون الالتفات إلى عنوان الظاهرة أو شخوصها.

ولعل دراسـتنا هذه سـتشارک فى التنبيه على حضور الظاهرة الحسينية فى كل أحوالنا دون الانتباه إليها, فان القارئ سيجد كل مواد الظاهرة موجودةً لديه تعايشه من الصـباح إلى المساء, ولم تكن هذه الدراسة سوى اسـتعادة الظاهرة الحسـينية إلى حضور الذاكرة, أو تحفيز الذاكرة إلى استحضارها ليقف القارئ يرتب من جديد مواد الظاهرة الحسينية الحاضرة.. لكنها الغائبة.

السيد محمد على الحلو

النجف الشرف

التجليات

اشارة

لابد لنا أن نشير إلى أن الظاهرة الحسينية تتجلى فى كثير من الموارد منها:

حالـة التضـحية والفـداء التى تظهرها مواقف تاريخيـة, ابتداء من واقعة الطف حتى وقتنا الحاضـر.. حتى المسـتقبل. وبمعنى آخر سـتكون الظاهرة الحسـينية مهيمنة على الماضـى التاريخى بكل شـخوصه, والحاضـر الحسـينى بكل مواقفه, والمسـتقبل المنظور, ولعلنا نحدد هذه الظاهرة الثلاثية كالتالى:

ألف - ظاهرة التاريخ التضحوى

اشارة

وتتجلى فى كربلاء تلك الواقعـة التى حـددت مساقات التاريخ التضـحوى بكل دواعيه, وجعلت كربلاء ينشدها الجميع، وذلک من خلال مواقف بعض الأصـحاب. وإطلاقنا على هذه الظاهرة بالتاريخ التضـحوى كون هذه المواقف - فى نظرنا- اسـتوعبت كل التاريخ الجهادى, وتبقى الحالات الجهاديـة كلها تقتات على تلک المواقف, أى لم تبلغ ما بلغته المواقف الكربلائيـة فهى باتت تهيمن على الحالـة الجهادية وفى حقيقتها صارت هذه "حالة تعبوية" وبرزت كظاهرة نستجليها من خلال المواقف التالية التى ستكون ظواهر مستقلة بذاتها لعدم إمكانية تكرر حدوثها بنفس النسق التضحوى المتميز.

ظاهرة سعيد بن عبد الله الحنفى أو ظاهرة التضحية من أجل القيادة

فقد عمد سعيد هذا أن يكون درعا للإمام الحسين عليه السلام يتلقى الحتوف من خلال السيل الجارف للسهام التى وجهها القوم للإمام مستغلين انشغاله بالصلاة, ووجد سعيد فرصة التضحية حاضرة بدفعه لتلك السهام وتلقيه جرعات الموت ليكابر عند وقوفه وتحمله ما يحل به ثم بعد الانتهاء من الصلاة يتلقى الإمام الحسين صوت سعيد الخافت ليقول للإمام: أوَفيت يابن رسول الله؟ فكأنه يستأذن بالسقوط على الأرض, فيقول له الإمام: نعم أنت أمامى فى الجنة.

هذه الظاهرة وهى فداء القائد والتضحية من أجله تميزت بها القضية الحسينية كظاهرة, وهى تدل على قناعة بل يقينية القاعدة بقيادتها.

ظاهرة عابس الشاكرى أو ظاهرة الوقوع على الموت

معنى الوقوع على الموت أن يجعل الإنسان نفسه وقفا على التضحية والفداء من أجل تحقيق الغاية بأقصر الطرق, وبمعنى آخر أن حالة الإذعان للقضية يجعل الإنسان متلهفا لملاقاة اشد النتائج وأوقعها بكل طمأنينة بل بكل شوق.

وظاهرة عابس الشاكرى تلخص بهذا الموقف

وأقبل عابس بن شبيب الشاكرى على شوذب مولى شاكر وكان شوذب من الرجال المخلصين وداره مألف للشيعة يتحدثون فيها فضل أهل البيت.

فقال: يا شوذب ما فى نفسك أن تصنع؟

قال: أقاتل معك حتى أُقتل, فجزّاه خيرا وقال له: تقدم بين يدى أبى عبد الله عليه السلام حتى يحتسبك كما احتسب غيرك وحتى احتسبك, فان هذا يوم نطلب فيه الأجر بكل ما نقدر عليه, فسلم شوذب على الحسين عليه السلام وقاتل حتى قتل.

فوقف عابس أمام أبی عبد الله علیه السلام وقال: ما أمسی علی ظهر الأرض قریب ولا بعید اعز علی منک ولو قدرت أن ادفع الضیم بشیء أَعزّ علیَّ من نفسی لفعلت, السلام علیک, أشهد أنی علی هداک وهدی أبیک.

ومشی نحو القوم مصلتا سیفه وبه ضربة علی جبینه فنادی: الا رجل؟ فأحجموا عنه لأنهم عرفوه أشجع الناس, فصاح عمر بن سعد: ارضخوه بالحجارة, فرمی بها فلما رأی ذلک ألقی درعه ومغفره وشد علی الناس, وانه لیطرد اکثر من مائتین, ثم تعطفوا علیه من کل جانب فقتل.(1)

فإلقاء الدرع والمغفرة حالة من حالات "التبرع" فی آلیات الدفاع عن النفس والتنازل عنها مقابل ان یطمع العدو "الجبان" فی منازلته وهذه الحالة ساعدت الأعداء أن یقاتلوا عابساً حینما تخلی عن کل آلیات الدفاع لیسهل - فی نظر الأعداء- قتله, وهذه الظاهرة هی من ظواهر الوقوع علی الموت نتیجة لحالة الیقین التی وصل الیها عابس فی قضیته وقناعته فی صحة ما هو علیه دون تردد, بل بإقدام یعد من أشجع الظواهر التی تابعناها فی دراستنا هذه.

ظاهرة واضح وأسلم وظاهرة فناء الذات

وهی ظاهرة تعنی إلغاء الذات من اجل بقاء الهدف, أو فناء الذات لبقاء الأسمی. وبمعنی آخر أن یلقی الإنسان ذاته من اجل البقاء علی الهدف الأسمی أو تحقیقه.

وتتلخص فی ظاهرة واضح وأسلم کما وردت فی المقاتل هکذا:

کان واضح غلاما ترکیا شجاعا قارئا, وهو مولی للحارث المذحجی السلمانی, وقد أبلی فی کربلاء بلاء حسنا.

1- مقتل الحسین علیه السلام للسید عبد الرزاق المقرم:303.

ولما صرع واضح التركى استغاث بالحسين عليه السلام, فأتاه أبو عبد الله عليه السلام واعتنقه وهو يجود بنفسه فقال: من مثلى وابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واضع خده على خدى, ثم فاضت نفسه الطاهرة.(1)

ومشى الحسين إلى أسلم مولاه واعتنقه وكان به رمق فتبسم وافتخر ومات.(2)

ولو وضعنا خطاً تحت مادة "تبسم" وتحت مادة "افتخر" لوجدنا أن ظاهرة إلغاء الذات من أجل الذات الأسمى تبرز من خلال هاتين المادتين, ونحتاج إلى إضافة مقولة واضح حينما يعتنقه الإمام الحسين عليه السلام ليقول «من مثلى وابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واضع خده على خدى» تبرز لدينا ظاهرة الإلغاء الكامل للذات ليتحقق لنا الهدف الأسمى, وهذه ظاهرة لابد من توفرها فى مواقف تحقيق الهدف, إذ لم يشعر واضح انه أقدم على الموت وأهدى نفسه للفناء مقابل بقاء الأسمى وهو الإمام, بل لم يصل إلى حالة التفضل التى يُشعرها به موقفه التضحوى بل شعر بالإلغاء لموقفه ومن ثم لذاته التى لا ينظر فى هذه اللحظة إلا إلى الذات الأسمى وهو الحسين عليه السلام فهو يفتخر ان يكون الحسين عليه السلام قد أبدى له القبول والرضا بما فعله عند مصرعه.

1- مقتل العوالم:91.

2- مقتل الحسين عليه السلام للسيد عبد الرزاق المقرم: 301.

باء - ظاهرة الحاضر الحسينى

اشارة

لا ـ يسعنى الآن إلا ـ ان أطلق على كثير من الحالات التى يرصدها المتتبع لتشكل ظاهرة لحاضرنا بكل توجهاته ارتبط بإرادته أو دونها بالقضية الحسينية, وإذا أردنا ان نرصد مثل هذه الظواهر فلابد أن نؤسس لهذه الظاهرة قاعدة نستفيد منها فى ملاحقة كثير من الظواهر لترتبط بالقضية الحسينية وتشكل من خلالها ظواهر متتابعة أو لتصحيح التعبير نقول عنها متراكمة تتدافع تباعا لتشكيل جملة ظواهر.

القاعدة التأسيسية

اشارة

حيثما يرتبط الفكر الإنسانى بقضية معينة فان ذلك سيحقق داعيا للاقتداء, وهذا الداعى سيشكل قوة ضاغطة توجه العقل الجمعى لتقرير هذه القضية من خلال عملها هذا, بل تتعدد هذه القوة الضاغطة كمجموع إفرادى على العقل الفردى لينتج قضية مشابهة بتلك القدوة, إذن سيكون الداعى الإبداعى متوفراً على الفرد أو الجماعة ليحدث لها حالة محاكاة لقضيتها "القدوة", فتجاريها من دون الالتفات أحيانا إلى تلك القضية، إذ إنها تطبقت بظروفها.

اذن:

القضية الحسينية تهيمن على مشاعر الفرد أو المجموع تبعا لمقتضيات المشهد الذى ستشارك القضية الحسينية فى "إخراجه" ليكون ممهورا بالحسين ذلك المقدس الذى

استحوذ على كل الإحساسات المشاركة فى صياغة المفردة لترتبط بالقاعدة التأسيسية للظاهرة.

ان الحس الإنسانى يرتبط مباشرةً من بعيد أو من قريب بالقضية الحسينية بغض النظر عن الانتماء القومى أو الإقليمى وحتى الدينى, ولذلک جعلنا قيد "البعيد" و"القريب" قيدا احترازيا تحدده الانتماءات المختلفة لتشكل من خلالها الظاهرة.

الحاضر:

إننا لابـد ان نعترف بأن الظاهرة الحسـينية موجودة فى دواخلنا سواء كانت دواخلنا الفرديـة أو دواخلنا الاجتماعيـة. ولا يمكن لنا تقنين هذه الظاهرة لعفويتها أو قل لعفوية الانتساب لهذه الظاهرة.

ولابد هنا ان نرصد تلک الحالات المتشكلة منها الظاهرة الحسينية لتعدد الظاهرة بتعدد حالاتها, ومن أهم تلک الظواهر:

أوّلا: ظاهرة التضحية الشعائرية على المستوى الفردى

اشارة

لا نتحدث الآن عن الماضـى التضـحوى, بل لدينا حالة حضور لقضـية تضـحوية وبشكلها المتصاعد ترمز الى تفاعل القضية الحسينية فى نفوس "التضحويين الشعائريين" ولعل المصطلح هذا سيعيننا على رصد الحالات الشعائرية التى تنامت بعد واقعة عاشوراء.

لقـد أثبتت واقعة عاشوراء مسايرتها لكل زمن وتفاعلت معها على أنها قضـية اسـتجابت لكل متطلبات النفس الإنسانية وعالجت الكثير من غوامضـها التى لم تستشرفها الا واقعة الطف, اى أن عاشوراء استجابت للنفس الإنسانية وتحركت على ضوء تداعيات حاجتها الجزئية أو قُل إن عاشوراء دخلت فى غوامض النفس الإنسانيـة وحققت طموحاتها التى لم تحققها أية حركة إصـلاحية أخرى.. وإذا كان الأمر كذلك فانه من المؤكـد ان تنزع النفس الإنسانية إلى أن تتخذ نفس المساقات التضـحوية العاشورائية, اى سـتكون حالة بذل النفس هى العلامة الفارقة والخصوصـية المتميزة بها النفس التضـحوية التى تريد ان تساير السياقات العاشورائية فى الانصياع إلى التضحية وبذلها بشكل رخيص جداً لمبادئ الحسين عليه السلام الذى بات رمز التضحية والفداء.

فضـلا عن كون النفس نزاعـة إلى رد الإحسان ومقابلته بإحسان مثله وعلى هـذا سارت الرؤيـة الفرديـة وكذلك الاجتماعية فى التعاطى مع القضية الحسينية. إن ما يمثل ظاهرة بذل النفس فى الرمزية العاشورائية هى الشعائر الحسينية والتى تتمظهر بالحالات التالية:

1- ظاهرة الدم العاشورائی

وتعد هذه الظاهرة من أبرز معالم التضحية العاشورائية التی ألهبت المشاعر وأحالت الرمزية العاشورائية إلی تمحور تضحوی يتمحور من خلاله شعور المشارک حول الفداء وبذل النفس, فإخراج الدم من رؤوس المشارکين بمحض إرادتهم يدل علی الرغبة فی إظهار الجانب التضحوی بفدائيةٍ متميزة يثبت من خلاله استعدادهم لبذل النفس متی ما تطلب أمر الدفاع عن المبادئ.

ان ظاهرة "الدم العاشورائی" سواء الحقيقی أو الرمزی منه – الحقيقی هو ذلک المراق فی واقعة الطف والرمزی هو الذی تقدمه شعائر التطبير– هی ظاهرة تميزت بها هذه الواقعة وأکدت کذلک علی بقائها.

فما يفعله "الشعائريون" فی مراسم التطبير يفوق التصور, إذ حالة التضحية والفداء تکون السمة الأساس فی هذه الشعيرة, "فالشعائری" المتطبر يرتدی کفن الموت يوشح به جسمه جميعا ويحلق رأسه، وهی خاصية تعنی تسربل الموت عند ارتداء الکفن, وإزالة مظاهر الدنيا وترکها عند حلاقة رأسه, ثم يحمل سيفا أو مدية يضرب بها رأسه وهو فی لحظة المواساة التی يستشعرها عند قرع الطبول المؤذنة ببدء الشعيرة التضحوية، بعد ذلک سنجد نزف الدماء يتتابع من أولئک الشعائريين الذين يشارکون فی موکب التطبير، وهم يهتفون بشعارات تتصاعد فی نبراتها حالات التهيج والاندفاع نحو التضحية والفداء «حيدر» «حيدر» وعلی إيقاعات تشبه إيقاعات الحروب.

هذه الظاهرة عنفت الروح الانهزامية لدی الجميع وأدخلتها فی حظيرة التضحية سواء أولئک الشعائريون أو غيرهم الذين يشارکون فی مشاهدة المظهر التضحوی والذی يحفز النفوس علی الفداء لکنه بمراتب متفاوتة تتبع حالة التعلق بهذه الشعيرة قوة وضعفا.

ان ظـاهرة الـدم جعلت عـاشوراء تنمو فى الـذهن العـام وتكبر فى الـذاكرة الإنسانيـة, كما ان هـذه الظاهرة حافظت على مشـروعية الواقعة واحتفظت بسلامة القضية وحفظتها من المصادرات التى تربصت بها وأبعدتها عن محاولات التحريف.

ذكر لى المرحوم السـيد كـاظم الشـربى وكان رجلا فاضـلا عالما حافظا لوقائع تاريخيـة كثيرة ان الفاضل الشـربيانى كان من العلماء العظام الـذين فرضوا احترامهم ومنزلتهم حتى على الدولـة العثمانيـة, وكانت الدولة العثمانية تنفذ له خمساً وأربعين كلمة اى (أمراً) فى السـنة بأمر السـلطان العثمانى, وقد كان الشـيخ جالسا فى الحضـرة الحسـينية الشريفة فى يوم العاشر من محرم الحرام, فلما رآه مدير الشَرِطة أقبل عليه وسلم وأبدى له احترامه، وكانت آنذاک مواكب التطبير تدخل الى الصحن الشريف ومستمرة فى توافدها على الصحن آنذاک, فقال المسؤول العثمانى: يا شـيخ أهذا جائز أم لا؟ فقال له الشيخ الشربيانى: هذا لا يجوز - يشير إلى مواكب التطبير وكانت إجابته على سبيل التنزل- فقال المسؤول: لـم لاـ تمنعون إذن؟ فقال الشـيخ: نخاف, قال المسؤول: كيف تخافون ونحن معكم؟ فقال الشـيخ: نخاف منكم, قال: كيف؟ قال الشـيخ: إن يوم الغـدير حضـر فيه أكثر من مئـة وعشـرين ألفـاً من المسـلمين - وهو اقل الروايات- وكان النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم أشـهدهم على ان على بن أبى طالب هو وصـيه وخليفته من بعـده وشـهد على ذلک المسـلمون جميعا ثم أنكرتموه انتم وقلتم: لـم نصـدق ذلک, وواقعة عاشوراء لو لـم تكن فيها هذه الدماء فى كل عام تذكركم بشهادة الحسين عليه السلام ودمائه النازفة لأنكرتموها كذلک، وقلتم: إن الحسـين مات موتـة طبيعيـة وأنكرتم ما جرى فى واقعـة راح ضـحيتها الحسـين وأهل بيته الأطهار وأصـحابه الأخيار, لكن هذا الدم بقى شاهدا يذكركم بما جرت من دماء فى عاشوراء. فسـكت المسؤول العثمانى ولـم يَحر جوابا. كان الجواب عنيفا بعنف الدم العاشورائى الذى أثبت قضية الفداء.

2- ظاهرة لطم الصدور

ويحق لنا أن نسجلها هنا ظاهرة, وهى تتقرر من حالة الجزع الذى يعبر عنه المفجوع, اذ الحزين لا يكتفى بما تعتمله روحه من الحزن ما لم يترجمه إلى مشاهدة عملية, إذ تتّابع ضـربات يده على صدره ضـمن ايقاعات حزائنية لكنها شـعائرية, أى إيقاعات هادفة تُترجم تعاطى هذا الشـعائرى مع القضية الحسينية, وهى ظاهرة تكون الشعائرية فيها متمثلة بالحالة التظاهرية, والذى يرفع من مستوى المشاركة الشعائرية هذه إمكانية مشاركة الأكثر فى إحياء التظاهرة وكونها تترجم تطلعات المشاركين بشكل هادف يستشعر من خلاله المشارك انه ينقل مشاعره الى الخارج عن طريق هذه الضربات الإيقاعية المبدعة دائما والتى تنمى قابلية التضحية وشعور الفداء لدى الشعائريين المشاركين.

3- ظاهرة البكاء الحسينى أو حالة الاستيحاء الشعائرى للذات

وهو شبيه بحالـة الإيحاء الايجابى الـذى يعرفه علماء النفس بأنه: « الايحاء من خلال العبارات والأقوال والأفعال التى تحدث تأثيرا قويا فى سلوك الإنسان وتصرفاته, وتترك أثرا ايجابيا فى النفس»(1).

وهنا يمكننا اسـتعارة المصـطلح بعد تصـريفه إلى مادة «الاسـتفعال»؛ اذ الايحاء لعله يكون من طرف واحد, لكن البكاء سيكون من ايحاء يشـارك فيه أكثر من طرف يسـتفعل فيه المشـارك فتتهيـج لـديه مشـاعر الحزن الكـامن فى دواخل النفس ويـدعوه للبكاء الـذى يعبر عن وجـدانياته المكبوتـة والمسـتثارة بقصـيدةٍ حزينـة أو كلمات عاطفيـة تثير لـديه صوراً عاطفيـة تتلاحق واحدة بعد الأخرى لتكون لديه حالة استسلام لمشاهدات الواقعة التاريخية الحسينية, وظاهرة البكاء هذه تستوحى مشاعر المشارك أو السامع للعزاء

1- موسوعة علم النفس الدكتور اسعد رزوق:54.

لتثيرعنده الرغبة الشديدة فى البكاء, وهى حالة استسلام نفسى تسقط فيه النفس فى بقعة الحزن لكنه سقوط ايجابى, اى سيرفع من حالة القوة الشـعائرية التى تدفعه للمشاركة فى تقويم النفس بشـكلها الباحث عن الإبداع اى سـيكون البكاء حالة تقشُّع لهمٍ مثقلةٍ به النفس وستتعافى من خلال إلقاء هذه النتوءات النفسـية المتسببة من حالة إجهاد نفسى يثقل النفس من الإبداع فإذا ألقت النفس هذه القيود النفسية من خلال البكاء نشطت إلى الإبداع وقويت فى عملها بعد ذلک.

هـذه الظاهرة ميزت اتباع أهل البيت عليهم السـلام «بالبكائية الشـعائرية», فالبكاء الذى تحدثه الوجدانيات الشـعائرية لتسـتثير لديهم حالة البكاء وتقوى حالة الإبداع الذى يكون منشؤه غالبا من استرداد الحق المغتصب أو إثارة الرغبة فى أخذ الثأر والانتقام من الظالم الذى سبب هذه المأساة الكربلائية وكل من سار على خطه وانتهج منهجه.

اذن ظاهرة البكاء مصـدر قوة لأتباع أهل البيت وكل من دخل فى المنظومـة الشـعائرية التى حقق أهدافها أهل البيت عليهم السـلام وأمروا شيعتهم بالتزامها ومراعاتها.

ثانيا: ظاهرة التضحية الشعائرية على المستوى الاجتماعى

تبرز لدينا ظاهرة اجتماعية شعائرية مثيرة يستبطنها «العرف الشعائرى» واقصد بالعرف الشعائرى هو ما تعارف عند الشعائريين من مبتنيات عرفية وممارسات تنشئها الحالة الشعائرية الاجتماعية, فتكون محترمة وذات أثر فعال فى تنمية الشخصية الاجتماعية وعلاقاتها داخلها أو مع الآخر كذلك.

فأهم ما يميز هذه الشعائر على المستوى الاجتماعى:

ظاهرة الإيثار: وهى الظاهرة الأكثر شيوعا فى أوساط الشعائر الحسينية التى يتميز بها اتباعها.. فالمشاهد لمواكب المشاة الى كربلاء سيجد حالة إنسانية تهيمن على السلوك العام للشعائريين الذين جندوا أنفسهم لخدمة المشاركين فى مسيرة المشاة الى كربلاء. ان حالة «الأنا» تترجل بشكل لم يسبقه مثيل ولعلها تُنتزع إلى حد لتكون فى حالة ال_«نحن» وهى تلغى الامتيازات الفردية وتتصاعد وتائر الجماعية السلوكية والشعورية التى تحكم المجموعة الشعائرية. ان حالات الايثار لا يمكن رصدها جميعا الا اننا يمكن ان نرصد ما يكون امامنا: فمثلا تحاول المجموعة المؤسسة لموكب ما ان تتنافس فى تقديم أفضل الخدمات للزائرين وتتعدد هذه الخدمات بين:

أ- تقديم الطعام وبأشكاله المختلفة. ب- تقديم الماء.

ج- تقديم الشاى. د- الخدمة الصحية.

ويقوم جميع المشاركين بالسعى فى إنجاح عمل الموكب الخدمى الذى يفتخر بتميز خدماته عن غيره. إن الحافز الغيبى هو الذى سيتحكم فى هذه الظاهرة وغيرها وسنشير الى ذلك تباعا.

ثالثا: الظاهرة السلوكية الشعائرية

اشارة

فى خضم ما تشـهده هـذه المظاهر الشـعائرية من عدم الانتساب لأية منظومة قانونية وضـعية, اى عدم تقنينها بمواد قانونية معلنة, إلا ان هذه المظاهر اتخذت نهجا سـلوكيا أخلاقيا جماعيا أو فرديا؛ وبمعنى آخر تقنّن هذه المحافل الشـعائرية قانونية مرتكزة وانضـباط ضـمنى يدخل ضمن سياقات العرف الشعائرى, فمن خلال التنظيم الاعتباطى لهذه الشعائريات ظهرت أخلاقية تكاد تفتقرها أعظم التنظيمات المؤسساتية التى تحكمها لوائح قانونية، وهنا لابد ان نرصد بعض هذه السلوكيات التى تميزت بها الشعائريات الحسينية بشكلها الإنسانى البديع:

1- التكافل الاجتماعى

وهى ظاهرة تميزت بها الحركـة الشـعائرية, اذ تنامى الروح التكافليـة لـدى المجتمع الشـعائرى يميز أفراده بحالة الشـعور بالمسؤولية اتجاه الآخرين المشاركين فى إحياء الشعيرة الحسينية, فهم لا يتوانون عن توفير كل احتياجات الجموع الغفيرة بما يكفل لها حالة مواصلة الشعائر وتذليل كل عقبات الموانع لها حتى لو تطلب الأمر بذل الأنفس, فالمشاهد لشـعائر الأربعين الحسـينى يجد ان الشعائريين ينتظمون ضمن مجاميع مسـلحة لحراسـة الزائرين حفاظا على أرواحهم ويسـهرون الى الصـباح من أجل توفير الحمايـة لهم ورعايتهم مع علمهم بإمكانية استهدافهم على أيدى الأعداء الذين يتربصون بالشعائر

والمشاركين فيها, فكأن هؤلاء الشعائريين يقعون على موت محتمل دون تردد من اجل متابعة المسيرة الشعائرية بسلام.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يوفر الشعائريون كل انواع الأكل التى يمكن ان يستذوقها الزائر فضلا عن أسباب الراحة الممكن توفرها من تدفئة أو تبريد تبعا للأجواء حينئذ.

2- ظاهرة السخاء الجماعى أو الفردى

لابد من التنويه على ظاهرة تبرز من خلال الممارسات الشعائرية وتغلب على الممارسين للشعائر بشكل يتميزون به, وهى ظاهرة السخاء الذى يتميز به الفرد أو الجماعة الشعائرية, اذ ستكون حالة العطاء والبذل المادى فى أوجه لدى هؤلاء, فهم يبذلون دون حساب باعتقاد ان قضية الإمام الحسين عليه السلام كانت موقوفة على العطاء وموصوفة بالبذل, وهو عطاء الأنفس وبذلها من اجل تحقيق المبدأ والغاية السامية التى من اجلها سعى الإمام الحسين عليه السلام, ولما كان الشعائريون يعملون على المواساة للإمام الشهيد فان حالة السخاء تتضخم لديهم بشكل ملفت للنظر مع الاعتقاد ان هذا العطاء سيعوض بشكله الغيبى الذى يلمسه الباذل, وبالفعل فقد وقفنا على حالات يكون التعويض المادى للباذل بالأضعاف المضاعفة وبشكل تعجز معه الحسابات المادية المتوفرة لدى الباذلين وانهم يشعرون بلذة صحة منهجهم هذا الذى يكون التسديد الغيبى من ورائه. ان ظاهرة العطاء والبذل تتضخم بشكل غير طبيعى حتى انك لتجد الشخص غير المعطاء أو الذى يتصف بالبخل بمفهومه السلوكى مثلا نجد حالة العطاء والبذل تتصاعد وتائرها بشكل ملحوظ لدى تعاطيه مع قضية الإمام الحسين عليه السلام, فالبخيل سيكون كريما بل فى أقصى غايات الكرم والعطاء, والكريم سيبحث عن طرق أخرى لزيادة حصيلة صفته الايجابية, لذا فان إحصائيات

غير معلنة ترصد حالات البذل والعطاء تصل الى ترليون دولار صُرفت خلال محرم 2009 وهو رقم مهول حقا, وهذه الإحصائيات السرية ترصدها دوائر عالمية امريكية وغيرها لمتابعة المجريات الشعائرية وهم ليسوا فى صدد نشرها واعلانها بقدر ما هم فى صدد مراقبتها كظاهرة تثير الانتباه وبرنامج تنظيمى لكنه على المستوى الشعبى.

ان ظاهرة السخاء نُظمت بشكل مثير واتخذت أطوارا وحالات توفيرية, اى العمل على توفير الأموال لإنجاح الشعائر من خلال ايجاد صناديق توفير اهلية يضعها الشعائريون فى بيوتهم أو محالهم يرجون منها البركة, ويداوم الناس على ايداع تبرعاتهم فى هذا الصندوق حتى قرب محرم الحرام يُفتح هذا الصندوق ليسد نفقات الموكب المخصص من اجله التوفير, واستمرت هذه الحالة حتى وقت قريب فبرزت الدفعات المليونية التى يقدمها المتمولون من اجل إحياء هذه الشعائر وإدامتها وباتت صناديق التوفير فى اكثرها تشير الى رمزية الارتباط بالشعائر من قبل الافراد فضلا عن طلب البركة المتوقعة بسبب هذا الصندوق.

3- ظاهرة البناء الثقافى

وهى ظاهرة شاهدناها منذ ان عرفنا ان المجالس الحسينية المنعقدة تتكفل بتثقيف الاتباع على المنحى التاريخى الذى رواه أهل البيت عليهم السلام, وليس التاريخ الذى تبنت السلطة تأسيس ثقافته, ففرق بين التاريخين المقروءين, تاريخ تكتبه أقلام السلطة بواسطة رجالاتها, وآخر هو التاريخ الواقعى الذى روى احداثه أهل البيت أو ادخلوه ضمن انسيابية أتقنها اتباعهم وثقفوا عليها أجيالهم وهى مغايرة تماما لتلك الأطروحة التاريخية السلطوية, ولكى يحفظ أهل البيت عليهم السلام شيعتهم من ثقافات السلطة حصنوا ثقافة الاتباع بالمجالس المنعقدة لذكر الإمام الحسين عليه السلام وعزلوهم عن ثقافة السلطة, حتى صارت ثقافة السلطة غير ثقافة الاتباع اى الذين انضموا الى ثقافة

أهل البيت عليهم السلام وفكرهم, وبقيت هذه الثقافة مغايرة تماما لثقافة السلطة, ولابد لقنوات التثقيف لدى شيعة اهل البيت عليهم السلام ان تتنامى بشكلها المطرد من دون التأثر بثقافة السلطة, فكانت القنوات الشعائرية أهم ما لدى هؤلاء الشعائريين الذين باتوا ينخرطون تحت المنبر الحسينى بدافع المواساة للإمام الحسين عليه السلام ولغرض الحصول على الثواب الأخروى وكون الحضور تحت المنبر يعنى الثبات على المبدأ وهو احد صور الثبات للإمام الشهيد, إلا ان ذلک الشعور يخالطه لون من التثقيف الذى بات يتنامى يوما بعد آخر, وشعر اتباع أهل البيت عليهم السلام بضرورة الانضواء تحت هذا المنبر والتمسک به والالتزام بمراسمه، وذلک؛ لكون المنبر الحسينى هو رسالة صوتية لم ينقطع بثها منذ آلاف السنين تقود اتباع اهل البيت عليهم السلام بما ينسجم والوضع المعاش, وغدت هذه المجالس تدفع باتجاه التثقيف على أطروحة أهل البيت عليهم السلام وبرزت ظاهرة الثقافة تتعاظم يوما بعد آخر وكان لهؤلاء الشعائريين النصيب الكبير فى التزود بهذه الثقافة, حتى اننا أدركنا بعض الأميين الذين لم يحسنوا القراءة والكتابة يحملون ثقافة تاريخية متميزة ويدركون مجريات الحدث التاريخى بما ينسجم وفكر أهل البيت عليهم السلام ويحق لنا أن نشير الى ان الحركة الشعائرية أحدثت تحولا ثقافيا لدى الشعائريين بشكل يضمن فكر أهل البيت عليهم السلام محفوظا دون تحريف.

4- ظاهرة السلام والتعايش

يعد مبدأ السلام من أهم المبادئ التى تعمل على بناء المجتمع الرشيد وتنهض بالمجتمع الكامل الى ارقى مستوياته, ولعل ما يميز المجتمع الشعائرى هو توفره على حالة السلام كمبدأ يتعامل من خلاله مع نفسه والآخرين كذلک.

ان آفاق السلام والمحبة تأخذ القسط الأكبر من الجو الشعائرى العام الذى يتميز به جميع المشاركين, فلو أخذنا أربعينية الحسين عليه السلام وهى عينة صالحة لأكثر

الظواهر – كون هذه المناسبة يجتمع فيها أكثر من خمسة عشر مليون مشارک وهی نسبة هائلة تعطی نتائج إحصائية خطيرة– فلو أخذنا هذه المناسبة فإننا نرصد خُلقا شعائريا بديعا يسود الجو العام, وتتضافر جهود الجميع فی إقصاء كل مظاهر «الأنا» لتبرز روح ال_«نحن» فی هذا المجتمع وهو ما يساعد على خلق روح التفاهم والسعی من اجل إنجاح البرنامج الشعائری الذی يشارک فيه الجميع.

ان حالـة الثقـة التی تهيمن على الأجواء تبعد الانهزامية المسـببة للخلافات, فان العينة الأربعينية سـتحظی بالاهتمام من لدن الجميع وهم يشاهدون الملايين تنساب من خلال برنامج مرسوم وهدف موحد هو الوصول إلى كربلاء وإنجاح المهمة الشـعائرية, فمن خلال مشاركاتنا فی سـنين عـدة لم نجد ولو على مسـتوى الكلمة خلافا أو صـراعا ما, بل وجدنا الانسـيابية المليونية يدعوها هدفها المشترک إلى تجاوز كل الخلافات الفرديـة أو الجماعيـة وإظهار المجمعات الشـعائرية على أنها مجمعات سـلام, تنشـد المحبـة وتـدعو الى التسامح وهو امر يثير التساؤل, ما الـذی دعا هـذه الملايين ان تتجاوز كل خلافاتها على الرغم من عـدم اتفاقها الثقافی أو القومی أو حتى المناطقی الذی غالبا ما يكون فاصـلا بين المستويات الثقافية أو الفكرية وتتعدى صراعاتها وخلافاتها؟والذی نراه من خلال الجو العام الذی يعيشه المشاركون بكل توجهاتهم أنهم محكومون بأخلاقية الجماعة الشـعائرية التی يربطها الهدف الاسـمی والغاية الأنبل للوصول الى مواساة الإمام الحسين عليه السـلام وهذه المواساة تدفعهم بالشـعور بان المسؤولية تكافلية موزعة على الجميع وان الجميع مخاطبون بالمسؤولية على وجه العين دون ان يتخلى احـد عن هـذه المسؤولية وان كانت تشـتد وتضـعف تبعا للمهمة التی يتكفلها الأشـخاص وبهذا فقد برزت لدينا ظاهرة من أهم الظواهر التی يمكن رصدها فی الحركة الشعائرية الحسينية.

5- ظاهرة القيادة الذاتية

تتصف الجماهير الشعائرية بأنها لا تمتلك القيادة التى من خلالها تنتظم ضمن مجاميع ميدانية تواصل مسيرتها وتنفذ مهمتها, فالمجاميع هذه تعتمد على القيادة الذاتية التى تبرز من خلال الممارسة الشعائرية خصوصا تلك المسيرات المليونية الزاحفة نحو كربلاء إبان الأربعين الحسينى المليونى الذى لم يشهد التاريخ زحفا مثله.

من المعلوم ان الحشود المليونية سواء كانت شعائرية دينية, اومسيرات سياسية, أو تظاهرات شعبية كل ذلك يحتاج الى قيادة تعمل على تجمعاتهم وتوجههم ضمن انسيابية موحدة, علما اننا نجد أنّ اغلب هذه التظاهرات يشوبها اللغط الجماعى والإرباك التنظيمى وهى من حالاتها الطبيعية, فى حين نقف على المسيرة المليونية الزاحفة الى كربلاء والتى تخلو من اى قيادة كانت، لتنساب ضمن برنامج دقيق لا يختلف عنها الجميع ليظهر كفاءة تنظيمية ذاتية غير مسبوقة وهذا ما أدهش الجميع حقا.

6- ظاهرة العبادة الشعائرية

تتمتن الظاهرة العبادية لدى الشعائريين بشكل يترسخ لديهم الحس العبادى وينمو فى نفوسهم, بمعنى تكون ظاهرة التوجه الى الله تعالى فى أوجها وتتصاعد الرغبة فى الخدمة الإلهية التى هى اصل الخدمة الحسينية ليستوحى من خلالها الشعائرى روحه العبادية والانفكاك عن الدنيا والتوجه الى الإذعان المهيمن على روحه وسلوكه, ومن هنا يجد الشعائريون ان فرصةً للعبادة توفرت لديهم ولا يمكن تفويتها.

ان حالة الإذعان والشعور بالخدمة الحسينية يولدان الانقطاع الى المطلق, وتنمو فى روح المشارك حالة العبودية لله تعالى مستشرفا روح الاذعان الحسينية التى توفر عليها شهداء كربلاء وانقطاعهم الى الله تعالى, فان مسحةً نورانية تشرق

على روح المشاركين الذين تعلقوا بهؤلاء الشـهداء وانقطعوا بكلهم الى الله تعالى, ويجد الشـعائرى ان روح الشهيد الكربلائى تهيمن عليه وتأخذه إلى مساقات تعبوية تعبدية فى صلاة الجماعة وهى أبرزها أو التحفيز للالتزام بالصلاة فى حال يكون المكلف قد تراجعت لديه حالة الالتزام والمحافظـة على أوقات الصـلاة, فنجـد لـدى هؤلاء تتصاعـد لـديهم الرغبة فى الالتزام بالصـلاة, أو تتضاعف الرغبة بالصـلاة لدى المحافظين عليها, قد وقفت كثيرا عند صلاة الليل يؤديها جموع من المشاركين فى الشعائر الحسينية وهو امر لم نعهده فى مناسبات أخرى, أو صـلاة الجماعة ينتظم بها العشـرات فى صفوف متعبة من المشاركين، وشاهدتهم يؤدونها وكأنها من ضمن متطلبات الشعيرة التى شاركوا فيهـا, مما دفعنى للتفكير الى ان الشـعائر الحسـينية مطلقا تـدفع المشاركين فيها الى اشـتداد حالـة العبوديـة والخضوع لله تعالى, ومن هنا سينطلق بعض من لم يجد فرصة للمحافظة على صـلاته ان ينخرط فى الصف العبادى الشـعائرى فكفلته الشـعائر الحسـينية, اى ان حصيلة المشاركـة فى الشـعيرة هى تمتين العلاقة بين العبد وربه بعد ان فُتحت لديه آفاق عبادية شـعائرية, اذن لحظة الارتباط بالله سـتقوى فى هذه المشاركـات الشـعائرية بشـكل عنيف تترك فى نفس المشارك حالـة الالتزام العبادى بأقوى صورها, فهو اما ان يبتـدئ من نقطـة الانطلاق العبادى الشـعائرى للعبادة والتوجه الى الله تعالى واما ان هـذه الشـعائر تركت لديه لحظة المشاركة العبادية فى نفسه انشدادا قويا يدفعه فى يوم ما الى الالتزام بصـلاته بشـكل منتظم, هذه الظاهرة العبادية الشـعائرية هى رد واضح على كل من يدعى ان بعض المشاركين لا يعرفون التوجه الى الصـلاة ايام مشاركاتهم وهو فهم خاطئ بل ظالم لهذه الشـعيرة وللمشاركين فيها, وكم سـمعنا مثل هذه الجدالات السـيئة غير المجدية والتى تنبع من اللامسؤولية الدينية التى تأخذ بعضهم الى متاهات الظلم واتهام الآخرين بغير حق.

7- ظاهرة المرأة الشعائرية

هكذا يمكن ان نعبر عن حالة المسؤولية التى تضطلع بها المرأة فى القضية الحسينية, سواء المرأة التاريخية – اى تلك المشاركة فى واقعة الطف– أو المرأة الحاضرة - اى تلك المرأة المعاصرة التى تشارك فى الشعائر الحسينية - ففى المسيرة العاشورائية برزت ظاهرة المرأة, وكون المرأة ظاهرة لأنها أثبتت دورها الاستثنائى إلا انه طبيعى نسبة الى القانون الإسلامى والتعاليم الشرعية فى تكريم المرأة والتأكيد على مكانتها, غير ان ذلک لا يمكن إحرازه ويكاد يكون قد ألغيت هذه القاعدة الإسلامية وصار التوجه الى نبذ المرأة وإلغائها سائدا فى كل الاوساط من ضمنها الوسط الاسلامى الذى لم يحسن تطبيق قاعدة تكريم المرأة, إلا ان عاشوراء أبرزت المرأة على أنها ظاهرة, وكون المرأة توصف بالظاهرة فهو متقدم فى مجال الفكر الإسلامى الذى يبحث منذ القدم عمن يصون كرامة المرأة ويحفظ قدرها ويعترف بقدرتها الخلاقة على تحمل المسؤولية وستكون المنظومة الشعائرية متكفلة فى هذا المجال, اذ تأخذ المرأة دورها الشعائرى وتحفظ هويتها الإنسانية فيه وتعمل على إمكانية إثبات مؤهلاتها كذلک.

ان ظاهرة أهلية المرأة الشعائرية اتخذت اشكالا عدة منها:

أ- استقلالية المرأة بإقامة الشعائر الحسينية, وأثبتت هذه المجالس النسوية إمكانيتها فى تثقيف المرأة على كل المستويات واهم مستوى هو ثقافة الواقعة التى غدت جزءا من ثقافة المرأة الشعائرية, وإذا أضفنا هذا الحاضر الى ذلک الماضى نجد ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد نوه بهذه المشاركات النسوية، لأنها ظاهرة مهمة تدخل فى مواساتهم (عليهم السلام) ومعنى ذلک ان هذه المواساة ستدخل ضمن الإعلان عن مظلوميتهم وما جرى عليهم، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم فى حديثه لفاطمة عليها السلام ليهوِّن عليها المصاب:

«ان ولدک سیقتل فی زمان خال عنی وعنک وعن ابیه وعن اخیه قالت علیها السلام ومن سیبکی علیه؟ فقال صلی الله علیه وآله وسلم: ان الله سیخلق لنا شیعة رجالهم یبکون علی رجالنا ونساؤهم یبکین علی نسائنا».

وبقیت حالة الأهلیة مرتکزة فی نفوس الشعائریین رغم تعدد الثقافات الاجتماعیة, ای حاول الشعائریون القفز علی الموروث الاجتماعی فی التعامل مع المرأة عند تعاطیها الشعیرة وتبقی المرأة الشعائریة محفوظة الهویة مستقلة الذات, وبمعنی آخر فان تحرر المرأة بجانبها الشعائری یدفعنا الی القول بان فلسفة الشعائر حفظت للمرأة تحررها، واستقلت بذاتها مهما کان المجتمع مجتمعا متزمتا فی تعامله مع المرأة, ای ان "ذکوریة المجتمع" لم تقف حائلا فی "أنثویة الممارسة الشعائریة" وبقیت المرأة تشارک الرجل فی اظهار المشاعر وتقدیر الموقف, ولعمری لقد سبق المجتمع الشعائری کل المجتمعات المتحررة التی تنادی بحریة المرأة, أو تلک التی مارست الإخفاقات فی حریة المرأة واستقلالیتها.

ب- بناء مجتمع نسوی شعائری یمارس جمیع أنشطته الشعائریة وشخصیته القانونیة فی ظل تقنین شعائری ارتکازی, ای تحتفظ المجتمعات النسویة بقانونیتها الشرعیة الذی أصّله النبی صلی الله علیه وآله وسلم «ونساؤهم تبکی علی نسائنا»وهذا التأصیل أسس لمجتمع نسوی شعائری یمارس ثقافته بکل استقلال من دون ان تناله سطوة الرجل الذی تخلی عن هیمنته التقلیدیة، وأعطی للمرأة شخصیتها إذعانا منه بإمکانیة ممارسة المرأة لشعائرها وضرورة ذلک تمتینا للهدف العقائدی الذی یعم الجمیع, ولهذه المجتمعات النسویة تقالیدها الخاصة بها وشخصیتها المعترف بها عند مجتمع الرجل الذی یعمل علی تعزیز ضرورة هذه المجتمعات النسویة, وهنا نجد أن الرجل تحرر من عقدة الهیمنة غیر الطبیعیة فی تعامله مع المرأة واحتفظت المرأة بمجتمعها الشعائری الذی

من خلاله تبرز مواهبها الخطابية مثلا أو الثقافية أحيانا أو الفكرية فى أحيان أخرى.

ح-الاستقلالية المالية للمرأة فى المجتمع الشعائرى, وهنا لابد من التأكيد على ان المرأة لها الحق فى القرار المالى بعد استقلاليتها المالية التى يبيح لها الرجل فى التصرف لإنجاح هذه المهمة الشعائرية, فالمرأة التى تفقد شخصيتها المالية ستظهرها فى الممارسات الشعائرية, فالمجلس النسوى المقام يدعم بتبرعات مالية مختلفة وتكون على اساس:

1- مالية المرأة المستقلة والتى تحتفظ بحقها المالى واستقلاليته.

2- منح الرجل مالا لدعم المشروع الشعائرى لزوجته وهنا تتصرف المرأة بكامل حريتها المالية.

3- التبرعات التى يقدمها المتمولون لدعم مثل هذه المجالس السنوية.

4- النذورات والهدايا من المشاركين لدعم المجلس وإقامته.

وهنا لابد من الإشارة الى ان ذلک ربما لم يتحقق فى الحياة الزوجية كلها سوى ما تحققه ظاهرة المرأة الشعائرية, وهو تقدم على صعيد العلاقات الزوجية بل والاجتماعية كذلک.

ظاهرة الثورية

الظاهرة الحسينية تتصف بأنها ظاهرة الثورية وهى اهم الظواهر التى ميزت الظاهرة الحسينية وصارت عنوانا خاصا بها.

ان الثورية التى تعنينا هنا هى الاتجاه للإصلاح بكل دواعيه دون ان يكون هناک تخلّفٌ عن المبادئ والقيم المنشودة.

لقد رافقت الظاهرة الحسينية ظاهرة الثورة وعرفها الإمام الحسين عليه السلام بأنها الإصلاح وذلک من خلال بيانه الذى أذاعه على أصحابه قائلا:

«وإنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما ولكن خرجت فى طلب الإصلاح فى امة جدى أريد ان آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدى وأبى»(1).

واذا أخذنا مقطعا من خطبته الاولى فى كربلاء نقف عند حيثيات تلک الثورة الإصلاحية التى بيّن جدواها من خلال ما عرضه من دواع تقتضى القيام بهذه الثورة فقال فى خطبته:

«الناس عبيد الدنيا, والدين لعق على ألسنتهم, يحوطونه ما دَرَّتْ معائشهم فإذا مُحِّصوا بالبلاء قَلَّ الدَّيانون.

ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وآله وقال:

1- انظر: الوثائق الرسمية لثورة الامام الحسين عليه السلام للسيد عبد الكريم القزوينى:22.

اما بعد فقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون وان الدنيا قد تغيرت وأدبر معروفها ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء, وخسيس عيش كالمرعى الوبيل, ألا ـ ترون الى الحق لا يعمل به, والى الباطل لا يتناهى عنه, ليرغب المؤمن فى لقاء الله, فانى لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما»(1).

ولم أقف على خطبة تقدم فيها بعض الاغراض المهمة على المقدمة وهى الحمد والثناء لله تعالى, وكانى أجد ان الإمام الحسين عليه السلام أراد ان يؤكد ان الغرض الذى يفتتح به الخطبة يعنى التوحيد فى مساوقته للغرض, اذ تنبيه الأمة على الحكمة وحسن التصرف ونبذ المنكر ورفض الظالمين يعنى هو الرجوع الى الله تعالى وطاعته وذلک يعنى عبادته تعالى والذى يؤول الى توحيده, فقدم غرض ما به التوحيد على الحمد والثناء, فضلا عن اثارة انتباه السامع بان الغرض الذى افتتح به خطبته هو التوحيد الربوبى والافعالى الذى يطمح الإمام الحسين عليه السلام تربية الأمة عليه.

لقد أكدت فصول الخطبة الحسينية على هذا الحماس الإصلاحى الذى نوه به الإمام عليه السلام وأكده فأوضح ضرورة الالتجاء إلى التغيير الذى هو الإصلاح والذى هو الثورة أخيرا.

لقد تسربت هذه الثورية الإصلاحية إلى الأمة العاكفة على الاستسلام والخنوع للحاكم, واشتعلت جذوة التغيير فى وجدانها فلم تنفک عن التغيير والمطالبة به ثوريا, وهذا ما يفسر لنا ولادة الثورات الإصلاحية بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام. اى خلفت ثورة الإمام فى النفوس دواعى الثورة وتجذرت فى مفاهيمها ضرورة الإصلاح فهى ضدّ الظلم أبدا, ولا تدع أحداً يبتز حقوقها منذ عرفت الحسين ثائرا ثم شهيدا.

1- مقتل الحسين للسيد عبد الرزاق المقرم.

لقد منحت ثورة الإمام الحسين عليه السلام قسطا وافرا من الثورية لأتباعه ومريديه, وتدفقت لديهم دماء الثورة فى مراجل نفوسهم تدعوهم للتغيير الدائم, لذا تجد أن الشعائرية الحسينية تضخ للمشاركين ديمومة الثورة وذلک من خلال مفاهيمها التى باتت متلبسة فى كل تحركاتهم وسكناتهم, فالثورة الحسينية ألهبت المشاعر ولابد من استمرارية هذا الشعور وحيويته, اى لابد ان يعيش شعور الثورة حيا فى نفوس الأمة ووجدانها ولابد من آلية تديم التواصل بين الثورة وبين أتباعها, فكانت الشعائر الوسيلة المهمة فى حركية هذه المبادئ لدى شعور الأمة وإحساسها, لذا فإننا نجد الشعائريين يمتازون بالثورة كظاهرة تميزهم عن غيرهم, وقد عاصرنا بعض فصول هذا التوهج الثورى الذى دفع بالشعائريين إلى الثورة كما حدث ذلک فى صفر من عام 1977 والذى برهن على ان الشعائريين يحملون الثورة فى دمائهم فقد اعترضت فى الثامن عشر من صفر قوة عسكرية تابعة للنظام البعثى الذى كان يحكم العراق فى عام 1977 وطلبت من المسيرة المتوجهة الى كربلاء التفرق وايقاف مسيرتهم وإلغاء هذه الشعيرة بالتهديد, ولم يستجب هؤلاء الشعائريون لنداءات القوة العسكرية وتهديداتها بل واصلوا الإصرار للوصول إلى كربلاء وتيقنوا ان الرضوخ لمطالب النظام يعنى إلغاء المراسم العاشورائية بكل تفاصيلها، فآثروا الوقوف ضد هذا الصخب من التهديد وثاروا بوجه القوة بترديد شعارات الرفض والتحدى وبدأت المواجهة غير المتكافئة بين القوة العسكرية المزودة بالدبابات والأسلحة الفتاكة وبين الشعائريين العزل حتى قتل منهم الكثير، وألقوا القبض على الباقين، وحكموا بالإعدام من دون محاكمة عادلة، وبقيت هذه الحادثة تشير إلى تلک الحماسة الثورية التى عبّدت طريق كربلاء بدماء التضحية والعطاء.

اذن فالظاهرة الثورية ظاهرة كربلائية وان لم تنتسب, اى الثورية هذه تعتمل فى النفوس فهى وراثة كربلائية وان لم يكن بين هذه الثورية وبين أصحابها علقة الانتماء

الكربلائی. وكم قرأنا عن عظماء ثوريين تأثروا بكربلاء ومجَّدوها بكلمات خالدة معروفة لدى الجميع, كما هو الحال فی محرر الهند المهاتما غاندی أو ما صرح به نابليون بونابرت القائد الفرنسی حينما خاطب أخاه الذی قرر الرجوع من بعض معاركه قال:«ليتک كأخ الحسين.» ای أراد تذكيره بوفاء أبی الفضل العباس ووقفته الشجاعة مع أخيه الحسين.

اذن فالثورية ظاهرة حسينية لا تتخلف عن المشهد المعاش والذی يحمل كل جزء منه كربلاء بفصولها وجزئياتها.

ظاهرة الألم

وهى إفراز حقيقى لواقعة الطف الدامية التى تحمّلتها الذاكرة الشـيعية لعقود متطاولة حتى غدت هذه الذاكرة ملتصقة بانبعاثات دامية توحيها واقعة كربلاء, ولهذه الظاهرة تداعياتها المؤلمة التى حفلت بها الروح الشـيعية وأودعت فيها البحث عن ذاتها المغيبة والمعذبة بواقعة الطف, وإذا كان الأمر كـذلک فإن هذا الشـعور يخلق وجدانا من العزة والتمايل نحو"الثار الايجابى" و"الانتقام المتكامل", واقصد من ذلک ان الثار الـذى تبحث عنه الروح الشـيعية المتألمـة هو الثـار للارتفـاع بها الى معارج الكمال والرقى، فهى تثار لوجودها المغيب بين مطاوى سـنين ضياع سـعت فيها ثقافـة الحاكم وجعلت من الشخصـية الشـيعية شخصـية محكومة دائما مهما بلغت التفوق والتقدم على الجهة الحاكمة، لأنها الغالبة دائما بالقهر والقوة, والشخصـية الشيعية هى المحكومة بالمثل التى لا يمكن ان تفارقها لحظة ولا تنفک عنها أبدا, وظاهرة الألـم الكربلائى المخبوء فى النفس الشيعية يدفعها دائما للانتصار والبحث عن الذات, ونقصد بـ"الانتقام المتكامل" بأنها عملية استعادة الذات والهويـة بطرق التكامل الـذاتى للنفس وهو ما يعـد متكاملا من المنهج المضاد وتحفيز الذات على التعالى إلى ما يمكن من خلاله تحقيق الأفضل, لـذا فإننا نجـد ان ظاهرة الألـم ايجابيـة بكل نواحيها, فهى تخلق الإبداع وتوجد محفزات الطاقات الخلاقة والمبدعة التى تنتزع من الألـم الساكن فى النفس فيستل ما يحفزه على ايجاد الأكمل فى كل شىء.

ان البكاء الـذى عرف به شـيعة أهل البيت عليهم السـلام لإحياء شـعيرة الإمام المظلوم تنبع من إحساس الباكى بالظلم وفداحـة ما وقع من حيف على الإمام الشـهيد، فتتعزز لـديهم روح العمل على رفع الحيف الـذى لحق بهم من الحاكم, والحاكم لا يعنى المتسـلط السياسـى بالضـرورة, بل حتى المتسلط الفكرى والثقافى الذى يهيمن على المشهد العام والذى يجعل الآخر محكوما دائما؛ لذا تجد ان البكاء يخلق طاقـة الإبداع ويتسامى إلى الرفض لكل منقصة من شأنها ان تسـجل ظلما أو جورا, وهكذا يبقى البكاء حافزا لترويض النفس الجامحة وفى الوقت نفسه داعيا لصقلها عن كل شوائب الخنوع التى تدعو الى التكاسل ومن ثم الانصياع إلى الظالم.

هذه هى ظاهرة الألم تخلق أُمّة سوية فى التفكير, خلاقة فى السلوك, دائبة فى العمل, مبدعة فى القرار, ولا ننسى ان حالة البكاء بسبب الألم تعطى اطمئنانا اكبر للنفس فتجد النفوس الباكية قد تخلصت من عقدتها بواسـطة البكاء الذى يبعثه الألم, فالنفس الشـيعية نفس متألمة, اى باكية وفى نفس الوقت مبدعة, خلاقة, سوية ثم هى مطمئنة تنشد الخير والإبداع.

ظاهرة الإيثار

لا نريـد الآن ان نقرض للظاهرة الحسـينية, بل نريد ان نؤرخ لها ونحن نعيش حيثياتها ووقائعها, ونرصد مشاهداتها المائلة أمام التاريخ الذى لا يمكن له ان يكتب ويؤرخ لان الحادثـة اكبر من التاريـخ, وظرفه اقل من ان يسـتوعب تلك المشاهـدات فصار مثلا راصدا للحوادث غير مستوعب لها, وفرق بين ان يرصد الحادثة فهى مجرد المشاهدة لا غير, وبين الاستيعاب لها وهو الوغول فى أعماقها والوصول إلى مكنونها.

اننا نرصد ظاهرة مهمة عمت المشـهد الكربلائى وكانت من ميزاته وحيثياته وهى ظاهرة الإيثار, ومعناها تقديم الغير على النفس، وان كانت للنفس خصوصية الحاجة والضرورة، وقوله تعالى بين هذا الاتجاه من الحالة النفسية التى تختص بها النفس وتمتاز بها فقال تعالى:

((وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)).

وهـذه الآيـة الكريمـة كان مصـداقها الحقيقى مشاهـدات كربلاء التى ما فتأت تعطى المزيـد من تداعيات الصورة الكربلائية وهى فى أوج عطائها.

فالحسـين بن على عليهما السلام يعلن تحركه إلى كربلاء ويدعو أصحابه للرحيل معه لكن بشرط البذل دون غيره, والبذل لا يعنى بذلا آخر غير بذل النفوس لذلك عزز بيانه بهذا القيد وهو بذل النفوس فقال:

«من كان باذلا فينا مهجته, وموطنا على لقاء الله تعالى نفسه, فليرحل معنا فانى راحل مصبحا إن شاء الله تعالى»(1).

وكـان دواعى الحركـة والخروج مع الإمـام عليه السـلام هو بـذل النفس, وهو أقصـى مصـاديق الإيثار, وهنا نقف مع خطاب حسـينى آخر نسـتجلى به حالة الإيثار بأروع صورها فقد أدرک الإمام عليه السـلام ضرورة بيان تكليف كل واحد من المشاركين فى كربلاء؛ ليوقفهم على مصائرهم ثم السماح لهم بالانصراف لئلا يلاقوا مصيره من القتل والبلاء, إلا ان أصحابه أدركوا كذلک ان تكليفهم يقتضى فداءه عليه السلام بأرواحهم، وانهم لم يكونوا أغلى منه وأعظم من وجوده, فقال عليه السلام لأتباعه:

ألا وانى لأظن انه آخر يوم لنا من هؤلاء, ألا وانى قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا فى حل ليس عليكم منى ذمام, هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا.

فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر:

لِمَ نفعل ذلک؟ لنبقى بعدک؟! لا أرانا الله ذلک أبدا.

بدأهم بهذا القول العباس بن على (رضوان الله عليه) واتبعته الجماعة فتكلموا بمثله ونحوه.

قال الحسين عليه السلام:

يا بنى عقيل, حسبكم من القتل بمسلم, فاذهبوا انتم فقد أذنت لكم.

قالوا: سـبحان الله, فما يقول الناس؟! يقولون إنا تركنا شـيخنا وسـيدنا وبنى عمومتنا - خير الأعمام - ولم نرم معهم بسهم, ولم نطعن معهم برمح, ولم نضرب

1- كشف الغمة للاردبيلى: 2، 332.

معهم بسيف, ولا ندرى ما صنعوا, لا والله ما نفعل ذلک, لکن تفديک أنفسنا وأموالنا وأهلونا, ونقاتل معک حتى نرد موردک, فقبح الله العيش بعدک.

وقام إليه مسلم بن عوسجة فقال: أنخلى عنک ولما نعذر إلى الله سبحانه فى أداء حقک؟ أما والله حتى اطعن فى صدورهم برمحى, واضربهم بسيفى ما ثبت قائمه فى يدى, ولو لم يكن معى سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة, والله لا نخليک حتى يعلم الله ان قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيک, والله لو علمت أنى اقتل ثم أحيا ثم احرق ثم أحيا ثم أذرى يفعل ذلک بى سبعين مرة مافارقتک حتى ألقى حمامى»(1).

ولم ننس موقف سعيد بن عبد الله الحنفى الذى وقف يدرأُ سهام الموت عن الحسين عليه السلام وهو يسقط بين يديه مضرجا بدمه ليقول له:«وفيت يابن رسول الله؟» ولعلک تستمتع بهذه المشاهدة أو تهتز لهذا الموقف أو تخضع لهذا الإيثار وأنک لابد ان تذعن إلى أنّ ظاهرة الإيثار تسجل للجهد العاشورائى الذى ابرز هذه المواقف بأعظم تجلياتها, وإذا أردنا ان نحيل الإيثار إلى مسالة الانحياز لحب الخير المجبولة عليها النفس الإنسانية لتتكثر لدينا المواقف الايثارية وليس الموقف العاشورائى وحده الذى يمتاز بهذا الإيثار, فان مواقف أخرى اتضحت فيها سمة الإيثار كعلامة بارزة أغدقت عليها صفة نزعة الإحسان وحب الخير وسجلتها مواقف تحتفظ بها, إلا أن الإيثار العاشورائى ضرب مثلا أعلى فى هذا المجال وأسهم فى تعزيز رؤية العطاء ليهيمن على ملامح الموقف ويأخذ بالاعتبار البعد الإنسانى للواقعة بكل تفاصيلها.

هذه الظاهرة الكربلائية – ظاهرة الإيثار– ضربت جذورها فى أعماق الحالة الشيعية وتوارثت الروحية الشيعية صفة الإيثار حتى لنجد ان التاريخ يمتد بطوله لتؤسس السلوكيات الشيعية منهجيتها فى الإيثار سواء كانت الثورية أى على الصعيد

1- الارشاد للشيخ المفيد: 2، 91.

الثورى الشيعى, إذ اننا نجد ان الثورة الشيعية احتفظت بمواقف الإيثار ولعب هذا الحس دوره فى ترسيم هذه الحالة وتشخيصها كما فى كل الثورات التى انتهجتِ الثار الحسينى فى تعاطيها مع النظام – كما فى ثورات الحسنيين؛ كثورتى محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم الإمام– مع التحفظ على بعض اطروحتيها, أو فى ثورة زيد بن على التى سبقت هاتين الثورتين والثورات الزيدية التى تلتها, أو فى واقعة فخ وشهيدها الحسين بن على, أو فى الثورات التى هى على منوالها, فان الحس الحسينى فى الإيثار كان الظاهرة الأكثر حضورا فى تفاصيلها.

أو المنهجية السلوكية, وهو على صعيد الأخلاق, فان الخلق الشيعى قد تبنّى الإيثار كمسالة أساسية فى توجهاته, ولعل قصص العلماء وغيرهم شهدت حالة الإيثار بكل عافيتها. او المنهجية الشعائرية, وهو صعيد الممارسة الشعائرية الذى تميزت به الشعائر الحسينية فكانت ظاهرة الايثار هى الأبرز من بين الظواهر التى تتحكم فى هذا المضمار.

وهكذا تعد ظاهرة الإيثار الأكثر انتشارا فى الحالة الشيعية وعلى جميع مستوياتها.

ظاهرة الشجاعة

ولعلها هی الظاهرة الأکثر ظهورا فی الحدث الکربلائی, إذ الشـجاعة هی الإقدام علی اتخاذ القرار المناسب سواء کان فی الحرب أو السلم, والقضـیة الکربلائیة واجهت الکثیر من المنعطفات فی الحرب والسلم, ففی الحرب کان أمراً اظهر من أن یوضح, فإصرار الإمام علیه السلام علی مواصـلة الحرب مع أعـدائه هو أقصـی غایات الشـجاعة, وکونه علیه السـلام فی غایة الاطمئنان ان هدفه حق وموقفه صدق, والشـجاعة المتجلیة فی موقف الإمام الحسـین إقدامه علی مواجهة خصومه بدمه الشـریف دون ادنی تردد,بل تأکیده علی مواصـلة المواجهة یدل علی عمق شعوره بصدق قضیته, کان علیه السلام یقاتل ولا یضعف عن ذلک بل یقول:

«أما والله لا أجیبهم إلی شیء مما یریدون حتی ألقی الله عزوجل وانا مخضب بدمی»(1).

إذ الإنسان حینما یری انه قد تفرد به خصومه تحدث لدیه رغبة الاستسلام من اجل الحفاظ علی بقائه وسلامة نفسه والنجاة بحشاشته, الا ان الإمام الحسـین علیه السـلام یجد ان ضـرورة الإصـرار هو مبدأ حرکته وقضـیته, فحالات الضـعف لم توهن الإمام علیه السلام فی مواصلة الجهاد, ودواعی الانهیار لم تـدع النازف ان یستسـلم لقدر الأوغاد, ومواقف الحرب لم تسـنح للشـهید ان یرکن الی الموت الذی هو راحته وفیه

1- اللهوف:601.

خلاصه من كل ما يريـده خصومه به من التنكيل, بل وجـد فى الإصـرار لـذته على محاربـة هؤلاء المهزومين دون ان يجدوا منه ولو لحظة واحدة قرار الاستسلام.

وفى علم الأخلاق يتقرر ان الشـجاعة نزعـة النفس حينما ترقى إلى المجـد, وعزمة الكريم وهو يرى اسـتباحة مبادئه على يد الطغاة، فتدفعه عزته للدفاع عن مبادئه، يقول ابن مسـكويه فى تهذيب الأخلاق الشجاعة: «.. وذلک ان الشجاع خوفه من الأمر اشد من خوفه على الموت, ولـذلک يختـار الموت الجميل على الحياة القبيحـة, على ان لـذة الشـجاع ليست تكون فى مبادئ أموره، فان الأمور تكون مؤذيـة له لكنها تكون الأمور وتكون أيضا باقية مدة عمره وبعد عمره, لا سيما اذا حامى عن دينه وعن اعتقاداته الصحيحة فى وحدانية الله عزوجل, والشريعة التى هى سياسة الله وسنته العادلة التى بها مصالح العباد فى الدنيا والآخرة.

فان مثل هذا إذا فكر فى قصـر مدة عمره, وعلم انه لا محال سـيموت بعد أيام ثم كان محبا للجميل ثابتا على الرأى الصـحيح, فهو لا محال يحامى عن دينه ويمنع العدو من استباحة حريمه, والتغلب على مدينته, ويأنف من الفرار ويعلم ان الجبان اذا اختار الفرار فإنما يستبقى شيئا هو لا محال فان زائل, وان تأخر أياما معـدودة, ثم هو فى هـذه الحياة اليسـيرة ممقوت مكـدر الحياة بالـذل وضـروب الصـفات, وهذه حال الشجاع مع قوى نفسه..»(1).

وهـذا العقاد يقرظ اللحظات الأخيرة للإمام بقوله: «تنادى القوم بمصـرع الحسـين فبلغت صـيحتهم مسـمعه الـذى أثقله النزع وأوشک ان يجهل ما يسـمع. فلم يخطر له ان يسـكن لينجو وقد ذهب الأمل وحم الختام, ولم يخطر له انه ضـعيف منزوف يعجل به القوم قبل ان ينال من القوم أهون مثال, ولم يحسب حساب شـىء فى تلک اللحظة العصـيبة إلا ان يجاهد فى القوم بما اسـتطاع, بالغا ما بلغ من ضـعف هذا المستطاع..

1- تهذب الاخلاق وتطهير الاعراق لابن مسكويه:195.

فالتمس سيفه فاذا هم قد سلبوه, ونظر الى شيء يجاهد به فلم تقع يده الا على مدية صغيرة لا غناء بها مع السيوف والرماح.. ولكنه قنع بها وغالب الوهن والموت, ثم وثب على قدميه من بين الموتى وثبة المستيئس الذى لا يفر من شيء ولا يبالى من يصيب وما يصاب. فتولاهم الذعر وشلت أيديهم التى كانت خليقة ان تمتد إليه, وانطلق هو يثخن فيهم قتلا وجرحا حتى أفاقوا له من ذعرهم ومن شغلهم بضجتهم وغيمتهم, فلم يقووا عليه حتى تعاون على قتله رجلان.. فكان هذا هو حقا الكرم والمجد فى عسكر الحسين إلى الرمق الأخير»(1).

وإذا كان الكرم والمجد هما خُلُقَى الحسين عليه السلام فان الشجاعة هى ما يجمع هاتين الصفتين ويؤطرهما بإطار خلقه الكريم وسجيته الشريفة.

هذه هى ظاهرة حسينية ورثها آل بيت الحسين وأضافوا إليها أتباعهم وشيعتهم على هذا المنوال وبنفس السجية والعظمة.

فأتباع الحسين عليه السلام تميزوا بظاهرة الشجاعة كونها ظاهرة حسينية, حتى انک لا تجد شجاعة إلا حطت على صفحات هذا الماضى العتيد, ولا ترى إصرارا إلا وكان شيمة هذا الجمع الشديد فى منازلة الشدائد ومكابرة الأعداء.

كانَ شيعة الحسين يمتازون بظاهرة الشجاعة, وما زالوا يتوارثونها حتى أن شعائرهم الحسينية يجللها شرف الإصرار وخاصية الشجاعة, وترتسم على حركاتهم الشعائرية هذه الظاهرة فكأنها اشتقت هذه الشعائر من تلک الظاهرة الحسينية الرائعة فى تعاطيها, والأروع فى تأصيلها؛ لأنها رمز الفناء وعلامة التضحية والفداء. فشعيرة اللطم على الصدور، والتطبير، وأمثالها ما هى إلا إقدام على الألم الذى هو بمعناه الآخر إقدام على الموت، فهل أشد من هذه المواقف واعتى من تلک النفوس؟! لأنها حزمت بالصبر وتحلّت بالشجاعة.

1- الحسين أبو الشهداء:256.

ظاهرة الصبر

وهو الثبات على المكاره, واحتساب الشدائد من أجل الهدف المنظور أو غير المنظور.والهدف المنظور هو ذلک الهدف الحاضر أو القريب الذى يتحسسه الفرد ويتلمسه, والهدف غير المنظور ذلک الهدف الموعود به أو المتوقع حصوله أو القادم من وراء الغيب.

وإذا عرفنا الصبر هکـذا فهذا يعنى ان الصبر ظاهرة حسـينية, فالحسـين عليه السـلام وآله وأصـحابه كانوا يشـعرون ان الصبر صـفة المناجزة الكريمة التى يثبت فيها الابطال, ويعون انه مطيتهم للوصول الى المكرمات, وما فارقهم الصبر لحظة بل كان لهم رفيقا ينادمهم عند اشـتداد الأهوال وتكالب المحن, فقد حقق الإمام الحسـين عليه السـلام غاية قصوى فى الثبات؛ قدمها أطروحة لأصـحابه الذين قاتلوا معه ولاتباعه الذين ساروا على منهجه, قال عليه السلام فى بعض خطبه:

رضى الله رضانا أهل البيت, نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين(1).

وهى التفاتـة رائعـة من الإمام الشـهيد فقـد أراد الإشارة إلى ما نزل بنا لم يكن لذنب بل لكرامة شاء الله تعالى ان يجعلها فينا عن طريق هذا البلاء الذى حل فينا, فان

1- اللهوف:38.

رضـى الله من رضانا, أى ما زلنا فى عينه وتحت رعايته سـبحانه, ولـم تنقطع ألطافه ومنحه ومراضـيه عنا, وإذا كان الأمر كذلک فان ما نزل بنا هو كرامـة منه تعالى لنا ولابـد من الصبر على ما ابتلينا به ليوفينا أجورنا وأجور الصابرين, فكان كلامه عليه السـلام دفع دخل لما قد يتوهمه المتوهم بأن ما هم فيه من البلاء كان لذنب أو غضب, وكذلک ما ينزل فى شيعتنا واتباعنا إنما هو لنيل كرامة الله ورضاه.

هـذه الحالـة غدت من مواصـفات الحالة الشـيعية التى امتازت بمقارعة الظالمين بما أبدته من الصبر والثبات حيال الظروف السياسـية التى تكاتب عليها الأنظمـة الحاكمـة فكانت الحالـة الشـيعية, المعارضة الرسـمية المرافقة لها فى مسـيرتها طوال تاريخها الدموى الحاكم.. بل صارت ظاهرة الصبر هى العلامة الفارقة للوضع الشـيعى التقليدى الذى ورثته الروح الشيعية وتقوضت جماعتها لجهود التنكيل والمطاردة التى عانتها من خلال سـياسة البطش المنتهجـة من قبل الأنظمة, وهكذا دأبت الثقافة الشـيعية للعمل على تعزيز ظاهرة الصبر حتى تميزت بها وصارت إحدى مواصفاتها.

الظاهرة الثقافية

مما امتازت به الظاهرة الحسينية منذ انطلاقها الى يومنا هذا هى ظاهرة الثقافة التى عمت أوساط هذه الثورة المباركة بل غدت الثورة الحسينية مصدرا لتثقيف اتباعها وتعميمه إلى غيرهم حتى صارت هذه الثورة نافذة مهمة على الثقافات الاخرى تستقطبها بل لعلها تنظر لها فى أحيان أخرى.

لقد عرفت الثورة الحسينية بأنها افتتحت مشروعها بالظاهرة الثقافية, أى سبق الظاهرة الثقافية للثورة شىء يثير الانتباه, فالتثقيف الذى سعت اليه الثورة قبل انطلاقها كانت قضية ملازمة لها, فالوقوف على جهود الإمام الحسين عليه السلام قبل ثورته المباركة أمر تدركه المصادر التاريخية التى وثقت للأحداث التى سبقت الثورة, فقد كانت بيعة يزيد فى زمن معاوية امرا أثار استهجان العامة واستنكارهم نتيجة لما بذله الإمام الحسين عليه السلام من جهود للتثقيف على رفض هذه البيعة والتشهير بها, فقد كتب الإمام عليه السلام الى معاوية كتاب تأنيب ومما جاء فيه:

«ثم وليت ابنک وهو غلام يشرب الشراب ويلهو بالكلاب, فخنت أمانتک واخربت رعيتک, ولم تؤد نصيحة ربک, فكيف تولى على امة محمد من يشرب السكر؟ وشارب المسكر من الفاسقين, وشارب المسكر من الأشرار, وليس شارب المسكر بأمين على درهم فكيف على

الأمة؟ فعن قليل ترد على عملك حين تطوى صحائف الاستغفار»(1).

فالرسالة تفضح السياسة الأموية الطائشة التى تجاوزت كل القيم الإسلامية والإنسانية، وهى تنذر الأمة بعاقبة الانحراف التى تمر بها الأمة، وتحصد سوء فعلها وإسرافها فى أمرها.

وفى السنة التى توفى بها معاوية كان الإمام عليه السلام يحضِّر لمشروع الثورة، وذلک من خلال الإعلان العام لرفضه واستنكاره لبيعة يزيد والعمل على قهر الأمة بقبولها, ففى منى اجتمع أكثر من سبعمائة رجل عامتهم من التابعين ونحو مائتى رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال عليه السلام:

«أما بعد, فإن هذا الطاغية قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم, وإنى أريد أن أسالكم عن شىء, فإن صدقت فصدقونى, وان كذبت فكذبونى, وأسألكم بحق الله عليكم وحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقربتى من نبيكم لما سيرتم مقامى هذا ووصفتم مقالتى ودعوتم أجمعين فى أمصاركم من قبائلكم من أمنتم من الناس.

وفى رواية أخرى بعد قوله "فكذبونى" قال:

«اسمعوا مقالتى واكتبوا قولى ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم فمن أمنتم من الناس ووثقتم به فادعوهم الى ما تعلمون من حقنا, فإنى أتخوف أن يدرس هذا الامر ويذهب الحق ويغلب, والله متم نوره ولو كره الكافرون.

وما ترک شيئا مما انزل الله فيهم من القرآن الا تلاه وفسره, ولا شيئا مما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى أبيه وأخيه

1- موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام:258.

وأمه وفی نفسه وأهل بیته إلا رواه.

وکل ذلک یقول أصحابه: اللهم نعم, وقد سمعنا وشهدنا, ویقول التابعی اللهم قد حدثنی به من أصدقه وائتمنه من الصحابة, فقال:

أنشدکم الله إلا حدثتم به من تثقون به وبدینه.

قال سلیم بن قیس الهلالی راوی الخطبة: فکان فیما ناشدهم الحسین علیه السلام وذکرهم ان قال:

أنشدکم الله أتعلمون أن علی بن أبی طالب کان أخا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم حین آخی بین أصحابه فآخی بینه وبین نفسه, وقال: أنت أخی وانا اخوک فی الدنیا والآخرة؟

قالوا: اللهم نعم. قال:

أنشدکم الله هل تعلمون أن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم اشتری موضع مسجده ومنازله فابتناه ثم ابتنی فیه عشرة منازل تسعة له وجعل عاشرها فی وسطها لأبی, ثم سد کل باب شارع إلی المسجد غیر بابه, فتکلم فی ذلک من تکلم فقال: ما أنا سددت أبوابکم وفتحت بابه ولکن الله أمرنی بسد أبوابکم وفتح بابه, ثم نهی الناس ان یناموا فی المسجد غیره, وکان یجنب فی المسجد ومنزله فی منزل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فولد لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وله أولاد.

قالوا: اللهم نعم. قال:

أفتعلمون أن عمر بن الخطاب حرص علی کوةٍ قدر عینه یدعها فی منزله إلی المسجد فأبی علیه, ثم خطب فقال: إن الله أمرنی أن أبنی مسجدا طاهرا لا یسکنه غیری وغیر أخی وبنیه؟

قالوا: اللهم نعم. قال:

أنشدكم الله أتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصبه يوم غدير خم فنادى له بالولاية وقال: ليبلغ الشاهد الغائب؟

قالوا: اللهم نعم. قال:

أنشدكم الله أتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فى غزوة تبوک: أنت منى بمنزلة هارون من موسى, وأنت ولى كل مؤمن بعدى؟

قالوا: اللهم نعم. قال:

أنشدكم الله أتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين دعا النصارى من أهل نجران إلى المباهلة لم يأت إلا به وبصاحبته وابنيه؟

قالوا: اللهم نعم. قال:

أنشدكم الله أتعلمون انه دفع إليه اللواء يوم خيبر ثم قال: لأدفعه إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله, كرار غير فرار يفتحها الله على يديه؟

قالوا: اللهم نعم. قال:

أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تنزل به شدةٌ قط إلا قدمهُ لها ثقةً به, وانه لم يدعه باسمه قط إلا يقول: يا أخى وادعوا لى أخى.

قالوا: اللهم نعم. قال:

أتعلمون أنه كانت له من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل يوم

خلوة, وكل ليلة دخلة إذا سأله أعطاه و إذا سكت أبداه؟

قالوا: اللهم نعم. قال:

أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: انا سيد ولد بنى آدم وأخى على سيد العرب, وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة والحسن والحسين ابناى سيدا شباب أهل الجنة؟

قالوا: اللهم نعم. قال:

أتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بغسله واخبره أن جبرئيل يعينه عليه؟

قالوا: اللهم نعم. قال:

أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فى آخر خطبة خطبها: إنى تركت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتى فتمسكوا بهما لن تضلوا؟

قالوا: اللهم نعم.

فلم يدع شيئا أنزله الله فى على بن أبى طالب عليه السلام خاصة وفى أهل بيته من القرآن ولا على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلا ناشدهم فيه فيقول الصحابة: اللهم نعم قد سمعنا ويقول التابع: اللهم قد حدثنيه من أثق به فلان بن فلان, ثم ناشدهم أنهم قد سمعوه يقول:

من زعم انه يحبنى ويبغض عليا فقد كذب ليس يحبنى ويبغض عليا.

فقال له قائل: يا رسول الله وكيف ذلک؟ قال:

لأنه منى وانا منه, من أحبه فقد أحبنى, ومن أحبنى فقد أحب الله ومن أبغضه فقد أبغض الله ومن أبغضنى فقد أبغض الله.

فقالوا: اللهم نعم, قد سمعنا وتفرقوا على ذلک(1).

وقد حرصنا على متابعة فصول الخطاب كله؛ لأنّه يترجم قضية مهمة وخطيرة وهى كون الثورة الحسينية لم تنطلق من فراغ بل كانت تحتل مساحة واسعة من الثقافة العامة للأمة؛ ومسؤوليتها فى ذلک تكمن فى إدراک خطورة الموقف الذى تداعت بسببه أمور أدت إلى الثورة والنهوض لتغيير الواقع, فالإمام يذكرهم بتاريخ طويل مشرف لأهل البيت فى تثبيت الرسالة ودعائم أركان الدين, وأى تقويض لهذه الدعائم فستكون الأمور خلاف ما جاء به النبى صلى الله عليه وآله وسلم, ولم يشعرالصحابة الشهود على احداث عقود بان هناک انقلابا حدث على المبادئ والقيم كما أشار إلى ذلک القرآن الكريم:

((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ)).

فالانقلاب الذى حذر من مغبة ارتكابه القرآن الكريم يستوضحه الإمام فى مواقف شهد عليها الصحابة, فلا مندوحة لهم من الاعتذار, ما لم يعلموا على طبق ما أمرهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم من الحفاظ على أصول الدين وبقاء الثوابت.

فالثورة إذن بدأت بالتثقيف وسبقتها أطروحة التغيير الفكرى والجهاد من أجل استبيان الحقائق وإسداء النصح.

هذه الخاصية لم تكن تاريخية بحتة بل صارت من موروثات الثقافة الشيعية التى قدست المعرفة كما قدست الجهاد ضد الظالمين وغدا التثقيف إحدى علامات الوضع الشيعى الذى لا ينفک عن محاولة الوعى الذى يبثه بين اتباعه, أى وَرِث الوجود الشيعى حركته التثقيفية من عاشوراء يوم كان الإمام الحسين عليه السلام يقدم الحقائق

1- كتاب سليم بن قيس: 206.

والنصح لأصحابه بل حتى لأعدائه.. وغدت هذه الحالة ظاهرة تتميز بها الشخصية الشيعية وكل حركاتها الإصلاحية.

قلنا إن هذه الظاهرة صارت من الموروثات الشيعية وظهرت ملامحها فى الحركة الشعائرية التى رافقت التاريخ الشيعى منذ كربلاء الشهادة حتى يومنا هذا, فالشعائر الحسينية" نضجت" فيها الظاهرة الثقافية وعملت على تفعيلها وهى من اهم منجزات الشعيرة الحسينية التى طاردتها الأنظمة الحاكمة, إذ كانت هذه الشعائر ترتضخ المعرفة لاتباعها وتعمل على تثقيفهم, فالمجلس الحسينى لم يقتص على مصيبة الحسين عليه السلام وأهل بيته بل يسبقها الخطيب بمحاضرة تاريخية أو قضية عقائدية أو مسألة علمية أو جميعها كما هو الغالب حتى يخرج بحصيلة عامة يربط نتيجتها بالمصاب الحسينى الذى اجتمع من أجله الحاضرون, أى سيتحمل المشارک فى المجلس ثقافة ما تنسجم وتطلعات القضية الشيعية بل تتجاوزها الى قضايا عامة دولية منها ومحلية أخرى, لذا نجد أنّ هذه المجالس تكفلت بتنضيج الرؤية الشيعية لدى اتباعها, وحققت انجازا عظيما فى فک الحصار المضروب على الفكر الشيعى وأبدت فعاليتها فى تعزيز الثقافة المطاردة التى ضرب عليها النظام السلطوى طوقا من الحظر الذى حاول قمعها وإقصاءها.

إن الثقافة الشيعية كظاهرة ترعرع معها الفرد الشيعى وبنت كيانه فى اللبنة الأولى من معرفته وشخصيته الممزوجة بها رؤيته الأولى منذ أن نشأ حتى تكاملت ثقافته ورشدت رؤيته.

الظاهرة الإعلامية

اشارة

من مكونات الظاهرة الثقافيـة, أى أن ظاهرة الإعلام عرفت بها الظاهرة الحسـينية فى ظاهرة إعلامية, وليس الإعلام فى مفهومه السـلبى الذى يتداوله اليوم أكثر القنوات الإعلامية, بل هو الإعلام الملتزم الذى يعبر عن قضـية ما ويهدف إلى مسألة معينة, ولا نجانب الحقيقة إذا قلنا إن القضية الحسينية حالة إعلامية امتدت فى أغوار التاريخ ونفذت إلى أعماق الحدث, وهذا يعنى ان عاشوراء كانت واضحة الملامح غير خفية التوجهات مما اكسـبها بعدا علميا خاصا, فالقضـية حينما تكون منفتحة بإعلامها على الجميع فإنها سـتكون واضحة الدلائل,تمتلك خزينا من الأدلة لإثبات صدقيتها.

إن الظاهرة الإعلامية تشكلت على أساس مقتضيات الحالة التى تعيشها القضية الحسينية.

فالظاهرة الإعلاميـة تتخذ أشـكالا عدة فمن إعلام المنبر الذى يكشف الكثير من الحقائق, والإعلام الشـعائرى الذى يتخذ الرمزية أساسا له فى إظهار القضية الحسينية فى مختلف أشكالها, وهذا يجعل الحس الإعلامى لدى الشعائريين فى أقصى درجاته.

إن الفن ينطلق من الم المأساة ليعبر عما تكنه النفس من مشاعر تتصاعـد صـيحاتها على شـكل ظاهرة معينـة لتوصل ما تريده إلى الخارج. ولنأخذ مثالا على ذلک, وهى

ظاهرة الفن المسـرحى الـذى لـم يعرفه الوسط العربى آنـذاک ولـم يعتمـده فى يومياته التى كانت زاخرة بالأدب كالشـعر والخطابـة والبلاغة والأمثال والرواية, إلا أن المسرح فن طارئ على الحياة العربية لـم تعرفه إلا بعد واقعة كربلاء, ولعل ما حدث فى مجلس الإمام الصادق عليه السلام من حادثة التمثيل كانت باكورة الأعمال المسرحية التى بدأها الإمام عليه السلام كبذرة أولى لهذا الفن المسرحى المفجع.

روى الكلينى فى الكافى فى كتاب الروضة أن الكميت دخل على الإمام الصادق عليه السـلام وأنشده فى مصـيبة جده الحسين عليه السلام فبينما الإمام يبكى إذ خرجت جارية من عند الحرم وعلى يديها طفل رضيع فوضعته فى حجر الإمام الصادق عليه السلام فاشتد بكاء الإمام وعلا نحيبه وجرت دموعه على لحيته الكريمة وصدره الشريف(1).

وهذه بادرة أولى - فيما أعلم- بدأت فيها محاولات التمثيل ليكون فى الثقافة الشـعائرية الفن المسـرحى الذى يعمله الشيعة اليوم وشاركت قنواتهم الإعلامية فى عرض مثل هذه المسرحيات بل تطورت إلى إعلام لها هويتها الخاصة لتأخذ مكانها فى الأعمال التلفزيونية الناجحة.

ومن الجدير بالذكر ان التمثيل إحدى خاصيات الظاهرة الحسينية ما دفع علماء الشيعة إلى الحث عليه وتهذيبه والاهتمام به.

ففى معرض حديثه عن التمثيل يقول العلامة الشـيخ عبد الحسـين الحلى (رضوان الله عليه) فى نصـرة المظلوم: «وأنت إذا تيقنت قيام تلک الفائدة الجلية بالمآتم الحسـينية قياما طبيعيا أرشدت إليه الأئمة الأطهار عليه السلام بهاتيک الأخبار لزمک الالتزام بوجوبها كفاية ووجوب كلما يفيد مفادها كذلک من تمثيل الفاجعة لحاسة البصر, أو

1- الكافى.

سير مواكب الرجال فى الأزقة والشوارع مذكرة بها, ولم تحتج بعد تلك الفائدة الملموسة باليد الى نضد الأدلة على مشروعيتها؛ إذ إنها بهذا البيان الذى يشهد به الوجدان, اجل من ان يرتاب مريبٌ فى رجحانها بل وجوبها كفاية. وان اقر بها علاقة وشبها بالمآتم «التمثيل» فان من سبر غوره, وتعمق بالغوص على سره يعلم ان فيه من النكت ما ليس فى إقامة المآتم المجردة عنه.. إذا كان السر فى إقامة المآتم والغرض منها ظاهراً إظهار مظلومية سيد الشهداء لدى العموم, وباطنا اتفاق كلمة الشيعة وحفظ عقائدهم عن الاندراس على مرور الأزمان. فلا ريب ان تمثيل الواقعة لحاسة البصر بما يصدر فيها من حركة وسكون وقول وفعل أبلغ فى إظهار مظلومية ذلك الشهيد الأعظم من الأقوال المجردة على المنابر وفى المجامع, وأدخل فى تثبيت العقائد وإحكام الروابط بين أفراد الجعفرية.

إذا كانت الفرقة الجعفرية تذكر فى المآتم وعلى المنابر المصائب التى وردت على الحسين عليه السلام ونصب أعينها الأحاديث المرغبة على البكاء عليه والحزن لأجله فتمثيل تلك المصائب للأنظار, له تأثير عظيم فى القلوب؛ لأنه يجعل العام والخاص من الجعفرية راسخ العقيدة ثابت اليقين.

لا شك فى أن الجعفرية فى تمثيلها للفادحة الحسينية تصيب من جهة إحياء أمر الأئمة عليهم السلام، وهذا هو السبب الوحيد لتسليم الحسين عليه السلام نفسه للقتل: ومن جهة أُخرى يحصل لهم ولغيرهم تخزين الطبائع وإبكاء النواظر وإثارة العواطف الرقيقة نحو المصاب بتلك الفادحة الكبرى ورفع أستار عن فضائح الظالمين وأتباعهم.

إن الذين ادخلوا التمثيل فى التذكارات الحسينية لا شك أنهم من كبراء رجال أهل الدين المفكرين, وأرباب السلطة المتبعة من الشيعة، ولذلك يظن البعض انه انتشر فى بلدان الشيعة من قبل سياسة السلاطين الصفوية الذين هم أول سلسلة استولت على

السلطنة بقوة المذهب ثم أيده رؤساء الشيعة الروحانيون شيئا فشيئا وأجازوه(1).

ولا نريد ان نستقصى كلمات الأعلام الذين أجازوا تمثيل الواقعة وشجعوا عليه كونه جزءا من شعائر المذهب.

وهـذا يوقفنا على مـدى إسـهام الحركـة الشـعائرية فى نهضـة المسـرح العربى الذى لـم يكن يعرفه العرب قبل ذلک، بعد ما كانت تجربتهم المسـرحية أوربية النشوء لكن ثقافة المسـرح تعززت بسـبب الجهد الشـيعى الذى قدم الجديد على المسـتوى الشـعبى, نعم على مسـتوى التنظير المسـرحى لـم يكن هناک اهتمام؛ إذ كان الاهتمام الشـعبى فى تأكيد المسـرح هو المطلوب فى تحقيق الشعيرة الحسينية التى يهتم بها شيعة اهل البيت.

الإعلام المضاد

ولا ننسـى أن الإعلام المضاد كان سـببا فى تفعيل الظاهرة الإعلامية الحسـينية, فضلا عن احتباس الظاهرة الحسينية وعدم البوح بمظلومية أهل البيت وما جرى عليهم بل وما لحق شـيعتهم من مطاردات وتنكيل فبات الصوت الشيعى محبوساً محظوراً عليه, ولابد والحال هذه ان يحتاج الصوت الشـيعى إلى إظهاره بآليات تضـمن وصوله إلى اسـماع الأمـة بل إلى العالم اجمع لبيان ما جرى على أهل البيت من تاريخ دموى ارتكبه الحاكمون على مر العصور, أى اسـتطاع الجهد الشـيعى ان يخترق الممنوع ويكسر حاجز الحظر الذى افتعله النظام, وهو أمر لـم يسبق إليه احد سواء على صعيد التنظيم السياسى أو على الصعيد الفكرى.

إذن الظاهرة الإعلامية صارت من مختصات الجهد الشيعى الذى شل كل جهود الحظر والتكتيم.

1- نصـرة المظلوم للشـيخ عبد الحسين الحلى والمنسوب للشيخ حسن المظفر وقد حققنا فى محله سبب النسبة, راجع مقدمتنا فى تحقيق الكتاب.

الظاهرة القرآنية

اشارة

إحـدى الظواهر الحسـينية, بل أهمها, فقد عرف الفكر الشـيعى بالفكر القرآنى كونه يسـتل كل قيمه ومبادئه من القرآن الكريم بما ورثوه من تراث أئمتهم الذين ما فتئوا ملازمين القرآن غير منفكين عنه كما صرح بذلک النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنى مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لن تضلوا ابدا, كتاب الله وعترتى اهل بيتى».

وهو مقـام لاـ يحرزه أحـد سوى من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وهى شـهادة القرآن لهم بأنهم المطهرون الـذين لا يمسـهم رجس ولا نجس ليصلوا إلى مقام القيمومة التفسيرية للقرآن وقيمومة الحفظ له:

((وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)).

وذلک من خلال قيمومتهم عليه فضلا عن الإعجاز الغيبى فهناک الإعجاز المقامى أى وجود من له مقام القيمومة على فهم القرآن وتفسيره ليحفظ فى لفظه ومعناه دون ان تمسه يد التحريف والتزييف.

تعد هذه الظاهرة من اجلى الظواهر الحسـينية التى باتت ترافق مسيرة الحسين عليه السلام منذ الإعلان عن دعوته إلى شهادته وحتى ما بعد شهادته.

الظاهرة القرآنية قبل الشهادة

لعل ما يمكن تسجيله الآن من مشاهدات للظاهرة الحسينية هى وضوحها على كلمات الإمام الحسين عليه السلام التى نظّر فيها حركته وعنون خروجه بالأطروحة القرآنية التى ما فتأت تلازمه منذ أول خطواته, فقد نقل المؤرخون ان الإمام الحسين عليه السلام حينما خرج من المدينة متوجها الى مكة ومعه بنوه وإخوته وبنو أخيه الحسن عليه السلام وأهل بيته وهو يقرأ:

((فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)).

ولزم الطريق الأعظم فقيل له أو تنكبت الطريق كما فعل ابن الزبير كيلا يلحقك الطلب قال:

لا والله لا أفارقه حتى يقضى الله ما هو قاض.

ودخل مكة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان وهو يقرأ:

((وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّى أَن يَهْدِيَنِى سَوَاء السَّبِيلِ))(1).

فالإمام الحسين عليه السلام ربط تحركه بتحرك موسى عليه السلام لتستذكر الأمة ان المواجهة واحدة بين موسى وفرعون وبين الحسين ويزيد وهو ربطٌ بديع بين الحركتين يغنى عن الخطب والبيانات.

وكان كل من أراد الخروج للقتال ودع الحسين بقوله:

السلام عليك يابن رسول الله فيجيبه الحسين عليه السلام: وعليك السلام ونحن خلفك ثم يقرأ:

((فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا))(2).

1- مقتل الحسين عليه السلام للسيد عبد الرزاق المقرم:140.

2- مقتل الخوارزمى 2:25.

وحين برز على الأكبر «لم يتمالک الحسين عليه السلام دون ان أرخى عينيه بالدموع وصاح بعمر بن سعد:

ما لک؟ قطع الله رحمک كما قطعت رحمی ولم تحفظ قرابتی من رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم وسلط الله عليک من يذبحک على فراشک.

ثم رفع شيبته المقدسة نحو السماء وقال:

اللهم اشهد على هؤلاء فقد برز إليهم أشبه الناس برسولک محمد خلقا وخُلقا ومنطقا وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيک نظرنا إليه, اللهم فامنعهم بركات الأرض وفرقهم تفريقا ومزقهم تمزيقا واجعلهم طرائق قددا ولا ترض الولاة عنهم ابدا فانهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلونا.

ثم تلا قوله تعالى:

((إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))(1).

فهذه الذرية المباركة التی بعضها من بعض هی ذرية رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم والمتمثلة بولده على الأكبر الذی عدا عليه قومه فقتلوه كما عدا قابيل على هابيل فقتله, وعدا قوم نوح فكذبوه وعدا قوم إبراهيم فاحرقوه وعدا قوم موسی فأخافوه, فالاعتداء الغاشم الذی لقيته هذه السلسلة من الأنبياء واحد كونهم السلسلة المكملة بعضها للبعض الآخر فكلهم مصطفون من الله تعالى للرسالة, فهم مبتلون كذلک من قومهم بالقتل والمطاردة وما ولدی هذا - وهو لسان حال الحسين عليه

1- المصدر نفسه.

السلام- إلا ضمن السلسلة المصطفاة والمبتلاة كذلک وهو شاهد على توارث المهمة لآل البيت وكونه الاصطفاء اللدنى الذى قرره القرآن الكريم فكذلک هو شاهد على الابتلاءات التى لقيها هؤلاء المصطفون كما يلقاه الحسين عليه السلام فى نفسه وولده وأصحابه.

هذا الترابط القرآنى الذى أوجده الإمام عليه السلام يوم عاشوراء أحدث نقلات نوعية خطيرة فى افهام اولئک الذين خرجوا لقتاله بغض النظر عن التغييرات فى المواقف، حتى غدوا يتصارعون فى أنفسم وكوامن وجدانهم ويعلمون ان الواقف أمامهم هو امتداد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وانهم بغوا عليه وقاتلوه ظلما وناجزوه عدوانا.

لقد فتح الحسين بن على فى قرآنيته أفاق الصراع, وكشف عن مدلهمات الأمور, وأوجز الملحمة فى تراتيل قدسية ضاقت على كثير فک رموزها وكشفت للآخرين ما حارت به الافهام وتبلدت فيه الألباب.

الظاهرة القرآنية ما بعد الشهادة

أخذ آل الحسين دورا مهما فى بيان فلسفة النهضة الحسينية والكشف عن التزويرات التى أحدثتها الدعايات المضادة وقام بترويجها النظام, وكان القرآن شاهدا على هذه الحركة العظيمة, وتبنى رجالاتها هذا الدور المتميز وأضافَ نساؤها معلما قرآنيا جديدا اقضّ مضاجع النظام, ولعل ما نقرأه فى المحاورة التالية التى كشف بها الإمام على بن الحسين زيف الترويج الأموى جزءا من الجهد القرآنى الذى بذله أهل البيت فى سبيل الكشف عن الحقائق:

فعند دخول عيال الحسين عليه السلام الى الشام «دنا شيخ من السجاد عليه السلام وقال: الحمد لله الذى أهلككم وأمكن الأمير منكم, ها هنا أفاض الإمام من

لطفه على المسكين المغتر بتلك التمويهات لتقريبه من الحق وإرشاده إلى السبيل وهكذا أهل البيت تشرق أنوارهم على من يعلمون صفاء قلبه وطهارة طينته واستعداده للهداية. فقال عليه السلام له:

يا شيخ أقرأت القرآن؟

قال: بلى. قال عليه السلام:

أقرأت:

((قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى)).

وقرأت قوله تعالى:

((وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى))؟

قال الشيخ: نعم قرأت ذلک. فقال عليه السلام:

نحن والله القربى فى هذه الآيات.

ثم قال له الإمام:

أقرأت قوله تعالى:

((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا))؟

قال: نعم. فقال عليه السلام:

نحن أهل البيت الذين خصهم الله بالتطهير.

قال الشيخ: بالله عليک أنتم هم؟! فقال عليه السلام:

وحق جدنا رسول الله إنا لنحن هم من غير شک.

فوقع الشيخ على قدميه يقبّلهما ويقول: أبرأ إلى الله ممن قتلكم وتاب على يد

الإمام مما فرط فی القول معه, وبلغ یزید فعل الشیخ وقوله, فأمر بقتله(1).

وبهـذا فقـد دخل القرآن الکریم فی الصـراع الفکری الـذی أججه مقتل الإمام الشـهید وحکم لآل البیت صـحة المنهج وسـلامة المعتقد, وکشف التزویر الذی أحدثته الدعایة الأمویة فی شل حرمة الإصلاح الرسالی الذی أعلنه الإمام الحسین علیه السلام.

اسـتطاع الإمام زین العابـدین فی ثلاث آیات قرآنیة أن یغیر من قناعة الشـیخ مما أربک النظام هذا التحول الفکری الذی أحدثته هذه الآیات القرآنیة فأمر بقتل الشیخ فکیف بحال الأمة لو اطلعت علی ما اطلع علیه الشیخ؟!

هکذا کان القرآن بل ولا یزال ظهیرا للحرکة الحسـینیة التی اختطفت النصـر الموهوم من عیون آل أبی سفیان وألقت کبریاءهم إلی حضیض التنظیرات الزائفـة غیر المجدیـة. ولمـا کـان القرآن حاکمـا فی المنازعات التی جرت بین کل طرف لإظهار موقفه حاول الأمویون تسـخیره لصالحهم إلا أن الإمام زین العابدین تصدی لهذا التحرک الموهوم وکشف تزییف الحقائق التی لج فیها بنو أمیة.

فقد دار الکلام بین الإمام زین العابدین وبین یزید أن قال یزید لعلی بن الحسـین: «وما أصابکم من مصیبة فبما کسبت أیدیکم» قال علی بن الحسین:

ما هذه فینا نزلت إنّا نزل فینا:

((مَا أَصَابَ مِن مُّصِـیبَةٍ فِی الْأَرْضِ وَلَا فِی أَنفُسِـکُمْ إِلَّا فِی کِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِیرٌ (22) لِکَیْلَا تَأْسَوْا عَلَی مَا فَاتَکُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاکُمْ)).

فنحن لا نأسی علی ما فاتنا ولا نفرح بما آتانا.

1- مقتل المقرم:368.

فانشد يزيد قول الفضل بن العباس بن عتبة:

مهلا بنى عمنا مهلا موالينا

لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا(1)

فتسخير الآيات القرآنية من قبل يزيد كان فى غير محله, وكان على بن الحسين دقيقا فى كشف مغالطات النظام فاستبدل آية مكان أخرى لئلا يجعلها النظام وسيلة لتمرير خططه, فغلبة الإمام على بن الحسين على محاولة يزيد دليل على ان الظاهرة القرآنية كانت حاضرة فى كل حين من أحيان المشهد الكربلائى.

القرآنية الزينبية

ولابد أن تكون البيانات الكربلائية وخطبها مدعمة بالقرآن الكريم, اذ الآيات القرآنية كانت شاهدة على الحركة الإصلاحية التى قام بها الإمام الحسين عليه السلام, وهى فى الوقت نفسه شاهدة على هذه الملحمة, حتى غدت الملحمة الكربلائية ملحمة قرآنية بكل توجهاتها ودقائقها.

فالخطاب الذى ألقته السيدة زينب بنت على كان خطابا قرآنيا صک أسماع يزيد وحاشيته, واستزاد الخطاب الزينبى جذوته المتألقة من الخطاب القرآنى الذى كان شاهدا وحاضرا فى كربلاء, وعينة من الخطاب الزينبى يثبت لنا هذه القرآنية الزينبية التى نستعرضها بشكلها الموجز. قالت:

الحمد لله رب العالمين, وصلى الله على رسوله وآله أجمعين. صدق الله حيث يقول:

((ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون)).

1- مقتل الحسين عليه السلام للمقرم:370.

أظننت يا يزيـد حيث أخذت علينا أقطار الأرض, وآفاق السـماء, فأصـبحنا نساق كما تُساق الاسارى ان بنا على الله هواناً, وبک عليه كرامة, وان ذلک لعظم خطرک عنده فشـمخت بأنفک, ونظرت فى عطفک, جذلان مسرورا, حين رأيت الدنيا لک مستوسقة, والأمور متسقة, وحين صفا لک ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً, انسيت قول الله تعالى:

((وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)).

ثم تسترسل فى خطبتها العظيمة حتى تقول:

فوالله مـا فريت إلاـ جلـدک, ولاـ حززت إلا لحمک, ولتردن إلى رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم بما تحملت من سـفک دماء ذريته وانتهكت من حرمته فى عترته ولحمته, حين يجمع الله شملهم, ويلم شعثهم, ويأخذ بحقهم.

((وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ))(1).

الزيف المفضوح

ولم يحر يزيـد جوابا بعدما سـمع هذه البلاغة الحيدرية التى أفرغتها على لسانها زينب بنت على تلک اللبوة التى زأرت زأرة الثأر فبقيت ترن فى أسماع الدهر حتى يومنا هذا, وتسافل المنطق الأموى ليجيبها بهذا البيت:

يا صيحةً تحمد من صوائح

ما أهون النوح على النوائح

1- مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: 378.

ثم يتمادى فی جهله ليقول:

أتدرون من أين أُتی ابن فاطمة, وما الحامل له علی ما فعل وما الذی أوقعه فيما وقع؟

قالوا: لا.

قال: يزعم أن أباه خير من أبی, وأمه فاطمة بنت رسول الله خير من أمی وجده خير من جدی وانه خير منی وانه أحق بهذا الأمر منی.

فأما قوله: أبوه خير من أبی, فقـد حاج أبی أباه إلی الله عزوجل وعلم الناس ايهما حُكمَ له, وأما قوله: خير من أمی فلعمری فاطمة بنت رسول الله خير من أمی, واما قوله: جده خير من جدی فلعمری ما احد يؤمن بالله واليوم الآخر وهو يری ان لرسول الله فينا عدلاً ولا نداً, ولكنه انما أُتی من قلة فقهه ولـم يقرأ:

((قُلِ اللَّهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْکَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء)).

وقوله تعالی:

((وَاللّهُ يُؤْتِی مُلْكَهُ مَن يَشَاء))(1).

وهذا اغرب ما رأيت من المحاججات, فقد حاج يزيد نفسه, فهو يعترف ان الحسـين من سلالة خير البشر اذ لا يقاس به احد, ولا يبلغ شأوه متحد, ولا ينازعه فی ذلک كبير ولا صـغير, ولا وضـيع ولا شريف, وأمه فاطمة خير نساء العالمين وأبوه صهر رسول الله صلی الله عليه وآله وسـلم ووصيه وهو يعلم ان الموت لما كان اجلاً محتوماً لا يعنی ان الله يأخذ عباده به, فلا تعنی ان معاوية حاج عليا بموته قبله فتلک آجال لا

1- مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: 379.

تدخل بها إرادة أحد ورغبته فى تقديمه أو تأخيره، والأعجب تكذيبه لقول النبى صـلى الله عليه وآله وسلم إن الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وقوله:حسـين منى وانا من حسين, واذا كان الحسين عليه السلام امتداداً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف تغيب عنه الحكمة ويُتهم بعدم الفقه فى الدين؟! وهل هو الا من رسول الله علماً وحكمةً وفقهاً وسـمتاً؟! وقد حاول يزيد ان يسـخر الآيات القرآنية بما ينسجم وتوجهات النظام فى شل حركة الإصلاح وتزييف الحقائق.

الظاهرة القرآنية وأدبيات الثورة الحسينية

من المثير فى القضـية الحسـينية ظاهرتها القرآنية ولعل الجولة التى انتهت بنا فيما تقدم من أن الظاهرة القرآنية استفحلت على المفهوم العام للثورة الحسينية حتى استحالت الخطب والكلمات التى عززت الخطاب الثورى للحركة الحسينية ظاهرةً قرآنية, أى كان القرآن شاهدا لثورة الإمام الحسين عليه السلام مما جعل أعداءه يتربصون بالظاهرة القرآنية ليحيلوها إلى مشروعهم دون تدبر, واستفحلت الظاهرة القرآنية ليس على الخطاب الحسـينى وحده بل ترعرع الأدب الحسـينى برثائه ومديحه فى الظاهرة الحسـينية، ونمت الظاهرة الحسينية فى الوسط القرآنى حتى انجر ذلک إلى الحس الأدبى ونما فى وجـدانيات الشاعر الحسـينى فخرجت القصـيدة الحسـينية منقحـةً بالآيات القرآنية ومسـتلة من المفهوم القرآنى وحاول الشاعر الحسـينى ان يجيد بإبداع لم يسـبقه اليه احد فى تسـخير الآيات القرآنية وتطويعها لرسم الصورة الحسـينية بأصدق تصوير وأنبل وصف.

ولعل استخدامنا للأنموذج الذى بين أيدينا سيوقفنا على هذه الحقائق, فالشيخ صالح الكواز الحلى -الأنموذج - وظف قصائده الحسينية فى خضم المفهوم القرآنى وحقق الظاهرة الحسينية بصورتها الشعرية, ولنا الآن ان نتابع الظاهرة القرآنية فى الشعر الحسينى.

الظاهرة القرآنية فى شعر صالح الكواز

تطالعنا حسينيات الشيخ صالح الكواز بقرآنيتها المتميزة, فقد استفاد الشاعر من الصور القرآنية المتراكمة فى الآية الواحدة وهو إبداع يسجَل ليس لخصوص الشاعر وحده, بل للجهد الأدبى الذى استخدمه الشعراء, فمثلا استخدم الصور القرآنية فى سورة يوسف بهذا الرثاء:

لى حزن يعقوب لا ينفک ذا لهب

لصرع نصب عينى لا الدم الكذبِ

وغلمة من بنى عدنان أرسلها

للجد والدها فى الحرب لا اللعبِ

ومعشرٌ راودتهم عن نفوسهم

بيض الضبا غير بيض الخرد العربِ

فانعموا بنفوس لا عديل لها

حتى اسيلت على الخرصان والقضبِ

فانظر الى اجسادهم قد قُد من قبلٍ

اعضاؤها لا الى القمصان والاهب(1)

فقد ضمن الشاعر أبياته من قوله تعالى:

((وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ))(2).

وقوله تعالى:

((أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)).

ضمنه فى قوله:

وغلمةٌ من بنى عدنان ارسلها

للجد والدها فى الحرب لا اللعبِ

وضمن قوله تعالى:

((وَرَاوَدَتْهُ الَّتِی هُوَ فِی بَیْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ)).

1- القرآنیـة فی علویات الشـیخ صالـح الکواز الحلی للدکتور علی کاظم المصـلاوی والاسـتاذة کریمة نوماس المدنی- مجلة اهل البیت علیهم السلام السنة الثالثة العدد السادس تموز 2008.

2- یوسف: 18.

فقال:

ومعشرٌ راودتهم عن نفوسهم

بيض الضبا غير بيض الخرد العربِ

وفی قوله تعالی:

((إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ)).

قال الشاعر:

فانعموا بنفوس لا عديل لها

حتی اسیلت علی الخرصان والقضبِ

فانظر لأجسادهم قد قُد من قبلٍ

أعضاؤها لا الی القمصان والأُهَبِ

وقوله تعالی:

((وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (41) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ)).

ضمنه الشاعر بقوله:

کل رأی ضر أیوب فما رکضت

رجل له غیر حوض الکوثر العذب

وفی قصة موسی قال تعالی:

((فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ)).

وفی هش الکلیم علی أغنامه بعصاه قال تعالی:

((قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى)).

ضمن الشاعر هاتين الآيتين بهذه الأبيات:

وآنسين من الهيجاء نار وغى

فى جانب الطف ترمى الشهب بالشهبِ

فيمموها وفى الايمان بيض ظبا

وما لهم غير نصر الله من اربِ

تهش فيها على آساد معركةٍ

هش الكليم على الأغنام للعشب

وفى قصة النهر وما جرى على طالوت وأصحابه فى الابتلاء بشربه قال تعالى:

((فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّى إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)).

ومبتلين بنهر ما لوارده

من الشهادة غير البعد والحجب

فلن تبلَ ولا فى غرفة أبدا

منه غليل فؤاد بالظما عطب

حتى قضوا فغدا كل بمصرعه

سكينة وسط تابوت من الكثب

فلْيبكِ طالوت حزنا للبقية من

قد نال داود فيه أعظم الغلب

وقول الشاعر: «سكينة وسط تابوت من الكثب» مأخوذ من قوله تعالى:

((وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)).

وقد جمع الشاعر مَطالع بعض الآيات القرآنية كالعاديات والمرسلات والنازعات والذاريات فضلا عما جاء فى سياقات بعضها كالناشرات والموريات, فقد استخدم هذه

الألفاظ وضمنها فى أبياته فقال:

يرنو إلى"الناشرات" الدمع طاوية

اضلاعهن على جمر من النوب

و"العاديات" من الفسطاط ضابحةً

و"الموريات"زناد الحزن فى لهبِ

و"المرسلات" من الأجفان عبرتها

و"النازعات" برودا فى يد السلبِ

والذاريات ترابا فوق ارؤسها

حزنا لكل صريع بالعرا ترِبِ

ويمكن تلخيص جهد الشاعر القرآنى بهذه القائمة المقابلة لكل آية كريمةٍ ببيت شعرى ضمنه الشاعر واليک ما قدمه الباحثان فى مقالتهما المنشورة(1).

1- قوله تعالى:

((وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ)) القصص: 23.

ضمنه الشاعر بقوله:

لم انسَ إذ ترک المدينة واردا

لا ماء مدين بل نجيع دماء

2- وقوله تعالى:

((عَمَّ يَتَسَاءلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ)) النبأ 1-2.

قال الشاعر:

يا أيها النبأ العظيم إليک فى

ابنيک منى أعظم الأنباء

3- وقوله تعالى:

((قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ)) يوسف:26.

1- مجلة اهل البيت العدد السادس السنة الثالثة 2008م.

قال الشاعر:

فانظر لأجسادهم قد قُد من قبلٍ

أعضاؤها لا إلى القمصان والاهب

4- قوله تعالى:

((فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (2) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا)) المرسلات:2-3

قال الشاعر:

يرنو الى الناشرات الدمع طاويةً

اضلاعهن على جمرٍ من النوب

5- قوله تعالى:

((وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا)) المرسلات:1.

وقوله تعالى:

((وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا)) النازعات:1.

قال الشاعر:

والمرسلات من الأجفان عبرتها

والنازعات برودا فى يد السلبِ

6- قوله تعالى:

((وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا)) الذاريات:1.

قال الشاعر:

والذاريات ترابا فوق أرؤسها

حزنا لكل صريعٍ بالعرا ترب

7- قوله تعالى:

((وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ)).

قال الشاعر:

وصبيةٌ من بنى الزهراء مربقة

بالحبل بين بنى حمالة الحطبِ

8- قوله تعالى:

((هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ)) الإنسان:1.

قال الشاعر:

هل أتى «هل أتى» فى مدح فضلهمُ

من الإله لهم فى اشرف الكتب

9- قوله تعالى:

((قَالَ قَآئِلٌ مَّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَابَةِ الْجُبِّ)) يوسف:10.

قال الشاعر:

والفضل آفة أهليه ويوسف فى

غيابة الجب لولا الفضل لم يغبِ

10- قوله تعالى:

((قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وَحُزْنِى إِلَى اللّهِ)) يوسف:86.

قال الشاعر:

يا سادتى يا بنى الهادى ومن لهمُ

بثى وحزنى اذا ما ضاق دهرىَ بى

11- قوله تعالى:

((يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ)) الحج:2.

قال الشاعر:

ولتذهل اليوم منكم كل مرضعة

فطفله من دما أوداجه رضعا

12- قال تعالى:

((فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا)) يوسف:80.

قال الشاعر:

وقفوا معى حتى اذا ما استيأسوا

خلصوا نجياً بعدما تركونى

13- قوله تعالى:

((كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ)) المطففين.

قال الشاعر:

تلك الرزايا الباعثات لمهجتى

ما ليس يبعثه لظى سجين

14- قوله تعالى:

((فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِى عَلَى اسْتِحْيَاء)) القصص: 25.

قال الشاعر:

قد كان موسى والمنية اذ دنت

جاءته ماشيةً على استحياء

15- قال تعالى:

((وَخَرَّ موسَى صَعِقًا)) الأعراف:143.

قال الشاعر:

فهناک خر وكل عضو قد غدا

منه الكليم مكلم الأحشاء

16- قوله تعالى:

((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنذِرْ)) المدثر:1-2.

وقوله تعالى:

((يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا)) المزمل:1-2.

قال الشاعر:

مدثرين بكربلا سلب القنا

مزملين على الربى بدماء

17- قوله تعالى:

((وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ)) النساء:157.

قال الشاعر:

فان عليه أُلقى الشيخُ الذى

تشكل فيه شبه عيسى لصالب

18- قوله تعالى:

((وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ)) يوسف:18.

قال الشاعر:

لى حزن يعقوب لا ينفک ذا لهبٍ

لصرعٍ نصب عينى لا الدم الكذب

19- قوله تعالى:

((أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) يوسف:12.

قال الشاعر:

وغلمة من بنى عدنان أرسلها

للجد والدها فى الحرب لا اللعب

20- قوله تعالى:

((وَرَاوَدَتْهُ الَّتِی هُوَ فِی بَیْتِهَا عَن نَّفْسِهِ)) یوسف:23.

ص: 75

قال الشاعر:

ومعشر راودتهم عن نفوسهم

بيض الظبا غير بيض الخرد العُرب

21- قوله تعالى:

((ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ)) ص: 42.

قال الشاعر:

كل رأى ضر أيوب فما ركضت

رجل له غير حوض الكوثر العذب

22- قوله تعالى:

((قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى)) طه:18.

قال الشاعر:

تهش بها على آساد معركةٍ

هش الكليم على الأغنام للعشب

23- قوله تعالى:

((فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ)) البقرة:249.

قال الشاعر:

ومبتلين بنهر ما لوارده

من الشهادة غير البعد والحجب

24- قوله تعالى:

((وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ)) البقرة:248.

قال الشاعر:

حتى قضوا فغدا كلٌ بمصرعه

سكينةٌ وسط تابوت من الكثب

25- قوله تعالى:

((فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِى)) القصص: 7.

قال الشاعر:

وما حكتها ولا "أم الكليم" اسىً

غداة فى اليم ألقته من الطلب

26- قوله تعالى:

((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا)) الاسراء:61.

قال الشاعر:

وصفوة الله لم يسجد له حسدا

إبليس لما رأى من أشرف الرتب

27- قوله تعالى:

((وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)) التوبة:93.

قال الشاعر:

وتلكم شبهة قامت بها عصبٌ

على قلوبهم الشيطان قد طبعا

28- قوله تعالى:

((وَخَرَّ موسَى صَعِقًا)) الأعراف:143.

وقوله تعالى:

((وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ)) النساء:157.

قال الشاعر:

فان جسمک موسی مذ هوی صعقا

وان رأسک روح الله مذ رفعا

29- قوله تعالی:

((قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ)) الأنبياء: 69.

قال الشاعر:

ونار فقدک فی قلب الخلیل بها

نیران نمرود عنه الله قد دفعا

30- قوله تعالی:

((فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا)) الأعراف:160.

قال الشاعر:

کلمتُ قلب کلیم الله فانبجست

عیناه دمعاً دماً کالغیث منهمعا

31- قوله تعالی:

((بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)) النساء: 158.

قال الشاعر:

ولو رآک بأرض الطفّ منفردا

عیسی لما اختار ان ینجو ویرتفعا

32- قوله تعالی:

((لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)) المائدة:48.

قال الشاعر:

إن لم تسدوا الفضا نقعاً فلم تجدوا

الى العلا لكم من منهجٍ شرعا

33- قوله تعالى:

((وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا)) مريم:4.

قال الشاعر:

وان سراج العيش حان انطفاؤها

فقد اشعلت نار المشيب ذبالها

34- قوله تعالى:

((بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ)) يوسف:18.

قال الشاعر:

وقوّضَ بالصبر الجميل فتىً به

فقدن حسان المكرمات جمالها

35- قوله تعالى:

((فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (7) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ)) القارعة:6-7.

قال الشاعر:

وماضرَّ ميزانى ثقالُ جرائمى

اذا كنتُ فيها مستخفاً ثقالها

36- قوله تعالى:

((وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ)) الحاقة:6.

قال الشاعر:

فكأن الرياح منه استعارت

يوم عادٍ عدوا فأضحت رماما

37- قوله تعالى:

((وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا)) الاعراف:160.

قال الشاعر:

فتخال موسى فی انبجاس محاجری

مستسقیا للقوم ماء جفونی

38- قوله تعالی:

((قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِکِ)) یوسف: 72.

قال الشاعر:

فکأن یوسف فی الدیار محکمٌ

وکأننی بصواعه اتهمونی

قوله تعالی:

((وَإِنَّ یُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِینَ (139) إِذْ أَبَقَ إِلَی الْفُلْکِ الْمَشْحُونِ (140) فَسَاهَمَ فَکَانَ مِنْ الْمُدْحَضِینَ (141) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِیمٌ (142) فَلَوْلَا أَنَّهُ کَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِینَ (143) لَلَبِثَ فِی بَطْنِهِ إِلَی یَوْمِ یُبْعَثُونَ (144) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاء وَهُوَ سَقِیمٌ (145) وَأَنبَتْنَا عَلَیْهِ شَجَرَةً مِّن یَقْطِینٍ)) الصافات: 139-146.

قال الشاعر:

ما ساهموا الموت الزؤام ولا اشتکوا

نصباً بیومٍ بالردی مقرونِ

حتی اذا التقمتهم حوت القضا

وهی الأمانی دون خیر أمین

نبذتهم الهیجاء فوق تلاعها

کالنون ینبذ بالعرا ذا النون

فتخال کلاً ثم یونس فوقه

شجر القنا بدلاً عن اليقطين

39- قوله تعالى:

((كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (11) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَ)) الشمس:11-12.

وقوله تعالى:

((وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ)) ق:14.

قال الشاعر:

وتتبعت اشقى ثمود وتُبعٍ

وبنت على تأسيس كل لعين

40- قوله تعالى:

((فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا)) الشمس:13.

قال الشاعر:

ما كان ناقة صالح وفصيلها

بالفضل عند الله الا دونى

هـذه الشواهـد الأربعون التى تعيننا فى بيان الظاهرة القرآنيـة الحسـينية والتى أسسـها شـعراء حسـينيون نذروا أنفسـهم على ان يقدموا هذه الملحمـة على أنها أطروحة قرآنية وفّقَ الشاعر الحسـينى أيما توفيق حتى اسـتطاع ان يوظف القصـيدة الحسـينية فى خدمة المفهوم القرآنى, وأثبت أن القرآن يتحرك من خلال المشـهد الكربلائى المتكون من الشخوص والأحداث المقاربات لحدث الآية القرآنية وشخوصها, أى ان الشاعر الحسـينى استطاع ان يقدم مقاربات ناجحة بين الآية وبين الحدث أى بين الحادثة القرآنية والحادثة الكربلائية حتى تمكنت القصيدة الحسـينية ان تعشّق بين الآيـة القرآنيـة وبين المجريات الكربلائيـة بما أعطى للحـدث الكربلائى تراثه القرآنى وأعطى للآية القرآنية حركيتها "الكامنة" التى تحتاج إلى محرك واقعى ينطلق من الواقع سواء الحاضـر منه أو التاريخى, وبلغ بالشاعر الحسـينى ان يسـتنهض الآية القرآنية لتحكى له الواقعة واستطاع ان يوظف الواقعة لتجسد الآية شخوصا واحداثا, ومن الملفت للنظر ان الشاعر استطاع ان يتعامل مع أكثر من آية ليقدم صورته الكربلائية كما فى آيتى المدثر والمزمل بقوله:

مدثرين بكربلا سلب القنا

مزملين على الربى بدماء

واستطاع كذلک ان يتعاطى مع آية واحدة ليكون بها ثلاثة أبيات وذلک فی قوله تعالی:

((وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ))... إلی قوله تعالی ((وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ)).

فاستطاع الشاعر ان يكون أربعة أبيات بقوله:

ما ساهموا الموت الزؤام ولا اشـتكوا... الی آخر الابيات, فهو لم يجمد علی مفهوم قرآنی واحد بل اسـتطاع ان ينتزع الصورة الكربلائية من أكثر من آيـة وفی الوقت نفسه ان يعـدد الصورة الكربلائية فی ضـمن آية واحدة, فكان البناء الفنی قرآنياً صـرفاً تداعت فيه الصور بشـكل غير مسبوق كما فی قوله:

كأن جسمک موسی مذ هوی صعقا

وان رأسک روح الله مذ رفعا

فـالبيت وظفه لملحمتين قرآنيتين مهمتين إحـداهما ملحمـة موسـی والأـخری ملحمـة عيسـی عليهمـا السـلام فكان بارعا بحق بأن يختزل ملحمتين فی بيت واحد. علی ان الشاعر وظف القصيدة الحسينية للمفهوم القرآنی وبث فی شاعريته روحاً قرآنية أعرض عنها جميع الشعراء فكان الشاعر الكربلائی سبّاقا لهذا الإبداع, واكبر ظنی أن الشاعر الحسينی يدفعه إحساسه المشبع بالغبن الذی أحدثته الواقعة الكربلائية من تقتيـل وتنكيـل، ثم هو لا يفتأ حتی يتلقی اتهامات تحريف القرآن أو عـدم اهتمام الشـيعة بالمفاهيم القرآنيـة وابتعادهم عن القرآن بشـكل تفاقمت هذه التهم إلی حد التكفير, فی حين يری الشاعر الحسـينی ان ثورة الحسـين عليه السـلام كانت تنطلق من القرآن الكريم وحاولت الحفاظ علی القرآن وإرجاع الأمـة إليه بعدما أبعدتها المفاهيم السياسـية عن ذلک, ثم هو يتردد فی ذهنه مقالات الإمام وخطبه القرآنية وما اسـتخدمه أهل البيت عليهم السـلام من آيات قرآنيـة فی سبيل إثبات حضور القرآن فی حياة الأمـة وجرها إليه وربطها به ثم بعد ذلک يجد الشاعر نفسه متهماً من قبل الآخر بعدم الاهتمام بالقرآن والابتعاد عنه.

الظاهرة القرآنية.. الثقافة القرآنية

غـدت الظاهرة القرآنيـة فى المفهوم الشـيعى ثقافة قرآنية, واسـتوعبت الثقافة الحسـينية الظاهرة القرآنية لتجعلها مفهوماً ثقافياً تمرست عليها الأجيال وخاضـتها ضـمن غمار المطاردات التى أحدثها الحاكم تهويلا لتهمة الابتعاد الشيعى عن دائرة القرآن الكريم, ولا نجانب الحقيقة إذا قلنا: إن الثقافـة القرآنيـة اسـتعادت عافيتها ضـمن التثقيف الحسـينى الذى ارتسـمت على معالمه الظاهرة القرآنية، وكانت ملامح الفكر الـدينى الـذى سـعت إلى تنضـيجه ثقافة الشـعائر الحسـينية، والتى برمجت آلياتها لتنمية المفهوم القرآنى وإدخاله ضـمن أدبيات الشـعيرة الحسـينية, أى لـم تخلُ الشـعيرة الحسينية من محاولات تعزيز المفهوم القرآنى لدى الشعائريين الذين يحضرون المجالس الحسينية، والتى ستكون خطاباتها مفعمة بالآيات القرآنية وتفسـيرها والتدليل على حقيقة الثورة الحسـينية بهذه الآيات التى عززت فلسفة النهضة الحسينية, فـالخطيب إذا أراد ان يتعرض لموضع مـا؛ لاـ يسـتقيم هـذا الموضوع حتى تتوارد الشواهـد القرآنيـة تباعا يجعل الشاهـد القرآنى جزءا من موضوعه مما يدفع بالمتلقى إلى متابعة الآيات القرآنية ويدخلها ضـمن اهتماماته الشعائرية وسيكون المشارك متلقيا قرآنيا نوعيا بامتياز, أى لم يكن المتلقى حافظا بقدر ما سـيكون مسـتوعبا للمفهوم القرآنى, ناشـئا على تربيةٍ قرآنية جديرةٍ بضـمان رؤية قرآنية لعقل جمعى ارتكزت لديه مفردات قرآنية ذات دلالات معرفية تتصاعد وتيرتها دائما, وبمعنى آخر: إنّ الشعائر الحسينية خلقت "مجتمعاً قرانياً" يضع القرآن نصب عينيه ليمارسه فى حياته, وبهذا فـ_"الممارسة القرآنية" ارتكازية لعقلٍ جمعى يرفد معرفته من مفهوم قرانى, ولا ننسـى ما للشـعائر الحسينية الأخرى من تأثير على الانسـيابية المعلوماتية التى يتوارثها المشارك تعزيزا لثقافته القرآنية حتى بدت الظاهرة القرآنية واضـحة المعالم على التراث الفكرى الشـيعى لينتج هذا الجهد الشـعائرى مجتمعاً قرآنياً يتمتع بمواصـفات الموروث القرآنى الذى ما فتأ ينهض بآليات مستجدة كفوءة.

الظاهرة الأدبية

اشارة

ترعرعت الظاهرة الحسينية فى وسط أدبى قاد بالثقافة الشيعية إلى وضع أدبى متميز, وفن تراجيدى مبدع سعى لتقديم الحادثة الكربلائية الى مذاقات أدبية غير مسبوقة, ولا نبالغ أن الإبداع الأدبى بدأت حركته تسجَل بشكلٍ متنامٍ بعد النهضة الحسينية, أى لم نستطع الإذعان الى الادب العربى للعهد الاسلامى الا بعد واقعة الطف تحديدا, ذلک؛ لأن الحس الادبى لدى المبدع لا يمكنه ان يتحرک الا ضمن تداعيات من الالم تحتفز فى ذاكرته بشكل لا تدعه حتى يعبر عن وجدانياته بشكل فنى يجذب انتباه المستمع ويشد الآخرين الى متابعة قضيته, ولم يكن لدى العربى آنذاک غير القصيدة الشعرية بدواعيها الإبداعية المشدودة الى حادثة تركت فى نفسه وقعاً محزناً, فالانماط الإبداعية تتحفز من واقع استباحته حادثة ما, أو مظلومية اوقدت فى حشاشة الشاعر أثرا عاطفيا, أو قضية دعته ان يسجلها فى مجهوده الشعرى الإبداعى ليشارک إحساساته المنبعثة من مأساة فرض عليه واقعها بمحاولة أدبية, هكذا هى القصيدة تولد من مأساة, وتتقد من مظلومية, وتنبعث من حادثة تؤجج لدى الشاعر ابداعاته.. فما ظنک بحادثة الطف التى أججت الوجدان الشيعى وتنامت معها أجيال حتى صارت المأساة الكربلائية ترتكز فى الذاكرة الشيعية لتحفز فى دواخلها تراجيديا لم تغب عنها ملاحم الطف, أى اخذ الإبداع الشيعى ينمو فى ظروف الألم, ويترعرع فى بيئة حزنٍ تصطبغ بدماء كربلاء حمراءَ

قانيـةً تقرر فيها توهـج الشاعريـة الكربلائيـة, وتنفتـح الروح الإبداعيـة لتولد منها القصـيدة التى تحكى واقع المأساة. ولنا أن نقول إن الادب العربى – خصوصا القصـيدة الشـعرية– أنقذته واقعة كربلاء من حالة التسـيب وباتت القصـيدة الكربلائية قصـيدة ملتزمة تنشد قضيتها بكل مسؤولية, فالأطلال التى كان يبكى عليها الشاعر العربى اسـتبدلتها القضـية الحسينية بالبكاء على أجسادٍ زواكٍ قدمت نفسها قربانا لقضيتها, والغزل الذى ينسجه الشاعر من مخيلته ملىء بمغامرات الحب والعشق غير الملتزم, بينما استبدل الشاعر الكربلائى القصيدة الغزلية بمغازلة الأشـخاص التى أرخصت نفسـها للفداء, ولم يكن التفاخر بالقبيلة مرغوبا لدى الشاعر الحسينى حتى استبدله بالمفاخرة بمواقف الأُلى من آل هاشم وأصـحابهم الذين سـجلوا ملاحم التضـحية, وبات الهجاء غير محمود فى أدبيات القصيدة الكربلائية سوى ما يحكى عن مساوئ اولئک الـذين عـدوا على آل نبيهم ولم يراعوا له إلاّ ولا ذمـةً, اذن خلقت كربلاء شاعرا ملتزما, وقدمت قصـيدة إبداعية مسؤولة لا تعانى من هوس الوجدان المنفلت, وبمعنى آخر صار الأدب الشيعى أدبا ملتزما بحرارة المأساة, ومتعقلاً بفاعليته الحماسية, فى حين يتراجع غيره إلى منخفضاتٍ واطئة الى الإحساس بجمالية الغرض؛ ليكون غرضا تقليديا غير متوهج بشعور المسؤولية, ويبقى الأدب غير الشيعى أدبا ضعيفا غير ذى جدوى ولا ذا إبداع, وتتفاقم مسؤولية الشاعر الكربلائى لتأخذ بالحيز الشعرى لتملأه إبداعات جديدة يوما بعد آخر, حتى غدا الشعر شيعى الانتماء كربلائى الإبداع وغيره لا يعدو عن محاولات خاسـرة غير ذات جدوى, لذا فانک ترى ما من شاعر تتطاول شاعريته الى عنان أفق الشـهرة والإبـداع الا وكان شـيعيا بامتياز, وهاک النابغـة الجعدى, وأبا الأسود الدؤلى, والفرزدق والكميت الاسدى وأبا تمام الطائى وأبا نؤاس وأبا الطيب المتنبى وغيرهم ممن حملوا خشبة القصيدة الشعرية على أعناقهم

ليرتقوا فيها بأسباب الإبداع الشعرى, ولست فى صدد اتهام الشاعر غير المنتمى لأهل البيت فى إخفاقاته الشعرية غير الإبداعية إلى عدم قدرته على الإبداع والترقى بالصورة الشعرية أو الغرض الشعرى لقصيدته, فلم يكن هذا الاخفاق ذاتيا بل كونه يحكى عن عدم انتمائه الى قضية تعزز لديه الإبداع وينطلق من هذه القضية الى أغراضه الشعرية بل يكاد يكون ذا شاعرية عبثية غير متسقة مع وجدانياته أو انها متسيبة الأغراض لا تحكى عن قضية ما, وهذا الذى جعل بعد ذلک ان يكون الأدب شيعياً صرفاً, والشعر حسينياً محضاً, تتنامى إبداعات الشاعر خلف قضايا إنسانية ودواعٍ أخلاقية ودوافع عاطفية كلها يجمعها عنوان كربلاء.

خلق الإبداع الشعرى فى مدرسة أهل البيت

لم ينطلق الأدب الشيعى من فراغ كما قدمنا, بل كان الشاعر يتوارى خلف إحساساته الوجدانية التى لا تنفک عن إمداده بالملكة الإبداعية, ولم يكن هذا الإحساس وحده يتقد فى ضمير الشاعر فيدفعه إلى مبدع متميز, بل كانت هناک دواعٍ دعت الشاعر إلى المبادرة فى الاستجابة إلى وجدانياته وآلامه وهذه الدواعى خلقتها مُثل الانصياع إلى أئمّة أهل البيت الذين ما فتأوا يرعون هذه القابليات الشعرية ويعملون على تنميتها, فمن ذلک ما عمله اهل البيت فى تشجيع الشعراء بإلقاء قصائد الرثاء فى محضرهم فمثلا «دخل جعفر بن عفان على الصادق فقال له: انک تقول الشعر فى الحسين وتجيده, قال:

نعم.

فاستنشده, فلما قرأ عليه بكى حتى جرت دموعه على خديه ولحيته وقال له:

لقد شهدت ملائكة الله المقربون قولک فى الحسين وانهم بكوا كما بكينا, ولقد اوجب الله لک الجنة.

ثم قال علیه السلام:

من قال فی الحسین شعرا فبکی وابکی غفر الله ووجبت له الجنة(1).

کما ورد عن أئمة أهل البیت علیهم السلام انه من قال فینا بیتا من الشعر بنی الله تعالی له بیتا فی الجنة, وفی آخر حتی یؤیَد بروح القدس, وفی ثالث بنی الله له فی الجنة مدینةً یزوره فیها کل ملک مقرب ونبی مرسل.

وقال أبو جعفر الباقر علیه السلام فی أیام التشریق لما انشد قصیدته:

«من لقلب متیَّمٍ مستهام» لا تزال مؤیداً بروح القدس, واستأذن الکمیت علی الصادق علیه السلام فی أیام التشریق ینشده قصیدته فکبر علی الإمام ان یتذاکروا الشعر فی الأیام العظام, ولما قال له الکمیت انها فیکم انس أبو عبد الله علیه السلام حیث انه من الذکر اللازم لان فیه إحیاء أمرهم ثم دعا بعض أهله فقرب ثم انشده الکمیت فکثر البکاء ولما اتی علی قوله:

یصیب به الرامون عن قوس غیرهم

فیا آخراً اسدی له الغی اول

رفع الصادق علیه السلام یدیه وقال:

اللهم اغفر للکمیت ما قدم وأخر وما أسر وأعلن وأعطه حتی یرضی(2).

إذن استطاع المنهج التربوی لأهل البیت ان یوجد الابداع الأدبی ویترعرع المبدع فی کنف دعوتهم للإبداع ویدفعونه إلی التماس أسالیب الفن والابتکار فی بیان مظلومیتهم لکن من خلال استعراض ما جری علی سید الشهداء الحسین بن علی علیه السلام.

1- مقتل الحسین علیه السلام للمقرم:114.

2- نفس المصدر.

الشعر الحسینی فی حلبة الإبداع

وحاولت المطاردات السیاسـیة ایقاف المسیرة الادبیة الکربلائیة فکان الشاعر مأخوذا بجریرة المدح والثناء لآل البیت علیهم السلام مما دعا الکمیت الاسدی إلی ان یشیر فی هاشمیاته الی تلک المحنة فیقول:

فیا موقداً ناراً لغیرک ضوؤها

ویا حاطبا فی غیر حبلِک تحطب

الم ترنی من حب آل محمدٍ

أروح وأغدو خائفاً أترقب

کأنیَ جانٍ محدث وکأنما

بهم اتقی من خشیة العار أجرب

علی أی جرم أم بأیة سیرةٍ

أُعنَف فی تقریظهم واؤنَب(1)

ومع هـذا اسـتطاع الأدب الشـیعی ان ینقـد قویا فی حلبـة الإبداع ویقرر الجولة الصالحة خصوصا فی العصور الحلیة الأدبیة, واقصد بذلک فترات الشعراء الحلیین الذین کانت لدیهم الظاهرة الأدبیة الحسینیة واضحة المعالم حتی لا یکاد شاعرٌ حلی یتخطی الرثاء الحسینی لیکون شاعرا له شـهرته الأدبیـة ومدرسـته المتمیزة، وإذا أردنا ان نسـتعرض بعض ما قاله الحلیون فإننا لا نتجاوز إبداعیة السـید حیدر الحلی ذلک الناعی الذی تضـخمت علی جنبات قصائده الإبداعات الأدبیة حتی غدت لکل بیتٍ من قصائده مدرسة مسـتقلة تحکی ابداعا غیر مسبوق, وتعبیرنا بالتضخم لا نعنی سوی الظاهرة الأدبیة الفخمة التی لا یطالها احد من الأدباء ولا ینال غایتها کثیر من الشعراء.

فمن روائع السید حیدر الحلی:

عثر الدهرُ ویرجو ان یُقالا

تربت کفک من راجٍ مُحالا

أیُ عذرٍ لک فی عاصفةٍ

نسفت من لک قد کانوا الجبالا

1- النبی وآله فی الشعر العربی للدکتور حازم سلیمان الحلی: 49.

فتراجع وتنصل ندماً

او تخادع واطلبِ المكر احتيالا

أنزوعا بعدما جئتَ بها

تنزع الأكباد بالوجد اشتعالا

فرغِ الكفَ ولا ادرى لمن

فى جفير الغدرِ تستبقى النبالا

نلتَ ما نلتَ فدع كل الورى

عنک أو فاذهب بمن شئت احتمالا

ازلالُ العفو تبغى وعلى

آل حوض الله حرمت الزلالا

لا أقالتنى المقادير اذا

كنتُ ممن لک يا دهرُ اقالا(1)

واذا اراد ان يصف حال النساء عند هجوم القوم عليهن فانه يبتكر صوراً تعز على اعتى خيال شعرى ان يتصورها:

وحائراتٍ أطار القوم أعينها

رعبا غداة عليها خدرها هجموا

كانت بحيث عليها قومها ضربت

سرادقاً أرضه من عزهم حرمُ

يكاد من هيبةٍ ان لا تطوف به

حتى الملائک لولا انهم خدمُ

فغودرت بين أيدى القوم حاسرةً

تسبی ولیس لها من فیه تعتصم(2)

ولم أجد فیما اطلعت علیه أحداً تتداعی لدیه الصور الکربلائیة کما تداعت للسید حیدر الحلی, فهو یستحضر المشاهد, وتتوالی لدیه الاحداث سراعا, وکأن صورةً تتبع اخری فی مسلسلٍ لا ینقطع عن الانهماک فی تقدیم موقف حی یتجلی فیه المشهد العاشورائی بأشخاصه, وقرع طبول الموت ترنُ فی اسماع المتلقی حتی لا ینفک من مشهد مرعب یأخذ بالألباب, أو صهیل الکماة فی معترک الابطال, أو قعقعة السیوف تطیح باختطافها جماجم صرعی علی صهوات سوابق مهزومة تتسابق مع رؤوس أصحابها فتتداعی علی ارض المعرکة:

1- النبی واله فی الشعر العربی:110.

2- مقتل الحسین للمقرم: 316.

كفانى ضنى ان ترى بالحسى_ـن

شفت آلُ مروان اضغانها

فأغضبت الله فى قتلهِ

وأرضت بذلک شيطانها

عشية أنهضها بغيها

فجاءته تركب طغيانها

بجمع من الأرض سد الفرو

ج وغطى النجود وغيطانها

وطا الوحش إذ لم يجد مهرباً

ولازمت الطير اوكانها

وحفت بمن حيثُ يلقى الجموع

يثنى بماضيه وحدانها

وسامته يركب إحدى اثنتى_ـن

وقد صرّتِ الحرب أسنانها

فإما يُرى مذعنا أو تمو

ت نفسٌ أبى العز إذعانها

فقال لها اعتصمى بالابا

فنفس الأبى وما زانها

إذا لم تجد غير لبس الهوان

فبالموت تخلع جثمانها

رأى القتل صبرا شعار الكرام

وفخراً يزينُ له شانها

فشمر للحرب فى معركٍ

به عرك الموت فرسانها

فأضرمها لعنان السما

ء حمراء تلفح أعنانها

ركينٌ وللأرض تحت الكما

ة رجيفٌ يزلزلُ ثهلانها

اقر على الأرض من ظهرها

إذا ململ الرعبُ اقرانها

تزيد الطلاقةُ فى وجهه

إذا غير الخوفُ ألوانها

ولما قضى للعلا حقها

وشيد بالسيف بنيانها

ترجل للموت عن سابق

له أخلت الخيلُ ميدانها

كأن المنية كانت لدى_ه

فتاةٌ تواصل خلصانها

جلتها له البيضُ فى موقفٍ

به أثكل السمر خرصانها

فبات بها تحت ليل الكفاح

طروب النقيبة جذلانها

وأصبح مشتجراً للرماح

تحلى الدما منه مرانها

عفيراً متى عاينته الكماة

يختطف الرعب ألوانها

فما أجلت الحرب عن مثلهِ

صريعاً يجبن شجعانها

غريبا أرى يا غريب الطفوف

توسدَ خديک كثبانها

ألست زعيم بنى هاشم

ومطعام فهرٍ ومطعانها؟![(1)]

فالبيت الواحد هنا خزينٌ من المعانى تتداعى فيه الصور ليوثق به الحادثة, فهو لا ينفک عن توارد المشاهد الحية تباعاً, ويحاول الشاعر أن يقدم صوراً متحركة تأخذ بعين المتلقى الذى ينشد لهذا المشهد أو ذاک فيعايش المعركة بجزئياتها، حتى لكأن قعقعة السيوف واصطكاک الرماح وصهيل الخيول تدوى فى أسماع المتلقى ليعيش المعركة بملاحمها العسيرة ومواقفها الصعبة المريرة. وما أروعه حيث يصف الدهر بأنه تعثر فاخذ يرتطم بأعمدة الخير! لأنه أعمى لا يميز بين هذا وذاک.

مشى الدهر يوم الطف اعمى فلم يدع

عمادا لها إلا وفيه تعثرا

ولا نريد ان نستعرض قصائد السيد حيدر الحلى بقدر ما أردنا ان نقدم نموذجاً ابداعياً عن الظاهرة الأدبية الحسينية, ولم أكن مبالغاً إذا قلت: ما من شعرٍ حسينى إلا وفيه إبداع يتجدد ومهارات فنية تستدعى كفاءة النظم وحماية التصوير.

وتتفاقم الظاهرة الأدبية لتحيل الفقهاء شعراء يحيون الواقعة الحسينية باشعارهم, ويتسابقون إلى نظم قصائدهم, ولا ادرى ما الذى دعا العلماء ان يشاركوا الشعراء فى مرثياتهم، ولعل الملكة الشعرية التى تنامت لديهم كانت دوافعها واقعة كربلاء, إذ تحريک الملكة وتنميتها

وليد مشاعر حزينة تأخذ بالنفس إلى غايات الإبداع, ودواعى

1- النبى وآله بالشعر العربى:111.

الهمـة, وعزيمـة المنافسـة, حتى أحيلت كربلاء إلى مدرسة إبداع, فالعلامة الشـيخ محمد حسـين آل كاشف الغطاء يشارک فى رثاء الإمام الحسين برائعةٍ أدبية يضمنها نكات علمية تعطى لملحمته الأدبية بعداً آخر.

عدلت بآل محمد فيما قضت

وهمُ أئمة عدلها وقضاتها

المرشدون المرفدون فكم هدىً

وندىً تميح صلاتها وصلاتها

والمنعمون المطعمون اذا انبرت

نكباء صوحت الثرى نكباتها

والجامعون شتات غير مناقبٍ

لم تجتمع بسواهم أشتاتها

يا غاية تقف العقول كليلة

عنها وان ذهبت بها غاياتها

يا جذوة القدس التى ما أشرقت

شهب السما لو لم تكن لمعاتها

يا قبة الشرف التى لو فى الثرى

نصبت سمت هام السما شرفاتها

يا كعبة الله التى ان حجت لها

الأملاک منه فعرشه ميقاتها

يا نقطة الباء التى باءت لها

الكلمات وائتلفت بها ألفاتها

يا وحدة الحق التى ما ان لها

السبع الطباق تحركت سكناتها

يا وجهة الاحدية العليا التى

بالاحمدية تستنير جهاتها

يا عاقلى العشر العقول ومن لها

السبع الطباق تحركت سكناتها

ثم يعرج على كربلاء بقوله:

ضربوا الخيام بكربلا وعليهم

قد خيمت ببلائها كرباتها

إلى ان يقول:

وبدت علوج أمية فتعرضت

للأسد فى يوم الهياج شياتها

إلى آخر ملحمته التى بلغت أكثر من مئة وستين بيتا.

وملحمته الأخرى التى مطلعها:

أقوت فهن من الأنيس خلاء

دمنٌ محت آياتها الأنواء

والتى بلغت أكثر من ثمانين بيتا.

وقصيدته الثالثة التى مطلعها:

خذوا الماء من عينى والنار من قلبى

ولا تحملوا للبرق منا ولا السحب

والتى بلغت أكثر من أربعين بيتا.

أما قصيدته الرابعة فمطلعها:

فى القلب حر جوى ذاكٍ توهجه

الدمع يطفيه والذكرى تؤججه

وقد بلغت أكثر من أربعين بيتا كذلك.

ولم تقتصر إبداعاته الملحمية فى الحسين عليه السلام على هذه الأربع العظام بل تعدتها إلى أكثر من ذلك إلا اننا وقفنا عليها كما اختارها السيد المقرم (رضى الله عنه) فى مقتله.

وللعلامة المحقق الشيخ محمد حسين الاصفهانى قصائد ملحمية يتعرض فيها الى مأساة كربلاء وقد جاء فى بعضها:

لک الهنا ياسيد الكونين

فغاية الآمال فى الحسين

لک الهنا يا صاحب الولاية

لنعمة ليس لها نهاية

الى ان يقول:

قام بحق السيف بل اعطاه

ما ليس يعطى مثله سواه

كأن منتضاه محتوم القضا

بل القضا فى حد ذاک المقتضى

الى ان يقول:

هو الذبيح فى منى الطفوف

لكنه ضريبة السيوف

الى آخر ملحمته التى بلغت المئات.

وللعلامة الحجة الشيخ محمد جواد البلاغى ملاحم مطلعها:

يا تريب الخد فى رمضا الطفوف

ليتنى دونک نهباً للسيوف

والقصيدة من روائع هذا الفيلسوف والمفسر الذى ملأ الدنيا بتحقيقاته.

وللعلامة الحجة الشيخ محمد حسين الحلى رائعته التى مطلعها:

خليلى هل من وقفة لكما معى

على جدثٍ اسقيه صيب ادمعى

ليروى الثرى منه بفيض مدامعى

فان الحيا الوكاف لم يک مقنعى

لان الحيا يهمى ويقلع تارة

وانى لعظم الخطب ما جف مدمعى

خليلىَّ هيا فالرقاد محرمٌ

على كل ذى قلبٍ من الوجد موجع

هلما معى نعقر هناک قلوبنا

إذا الوجد ابقانا ولم تتقطَّعِ

هلما نقم بالغاضرية مأتما

لخير كريم بالسيوف موزع

إلى آخر القصيدة.

وللعلامة الشيخ محمد تقى الجواهرى هائيته العصماء مطلعها:

دعانى فوجدى لا يسليه لائمه

ولكن عسى يشفيه بالدمع ساجمه

الى أن يقول:

فان يک إسماعيل اسلم نفسه

إلى الذبح فى حجر الذى هو راحمه

فعاذ ذبيح الله حقا ولم يكن

تصافحه بيض الظبا وتسالمه

فان -حسينا -اسلم النفس صابرا

على الذبح فى سيف الذى هو ظالمه

وهذا غيضٌ من فيض شعراء فقهاء قدموا أطروحاتهم الأدبية لتبقى مخلدةً فى ذاكرة الدهر.

لقد كانت "الظاهرة الأدبية الحسينية" فتحا للإبداع الشعرى وتسامت القصيدة العربية الى أرقى إبداعاتها حتى أكاد اجزم ان الإبداع الشعرى ترعرع فى واقعة الطف من يوم عاشوراء, ويبقى الإبداع الأدبى ينتسب إلى القصيدة الحسينية وان لم تنتمِ فكرا وعقيدة إلا أنها انتمت إبداعا, وانتسبت وجداناً, وتقلدت الحزن, وتسربلت زهو الفاتحين.

الظاهرة الاجتماعية

اشارة

تُعد الظاهرة الاجتماعية من أبرز الظواهر الحسينية التى خلفتها عاشوراء, فقد عززت هذه الواقعة الثقة الاجتماعية بين أفراد الأمة وذلک من خلال وحدة الهدف المشترک الذى ربط الجميع, ونعنى بالظاهرة الاجتماعية تحديدا هى حالة الترابط والتآلف الذى يمتاز به أتباع أهل البيت عليهم السلام بسبب واقعة عاشوراء, وربما سيكون هذا التعريف فيه تعميم لا يقدم الوضوح المرجو من التعريف كحدٍ لحدود الظاهرة, وهنا لابد ان نقرر اخص الحدود فى تعريف هذه الظاهرة وذلک من خلال بسط المشاهد التى تقدم صورةً متكاملة عن القصد.

نحن لا نريد أن نغوص فى أعماق القضية التاريخية بشكلها السردى ومن ثم التحليلى, إلا ان ثمت ترابطاً بين هذا السير التاريخى وبين الانسيابية الحاضرة للظاهرة الاجتماعية- العاشورائية.

إن الحاضر العاشورائى سيقرر لنا هذه الظاهرة المهمة والتى تعد من مظاهر عاشوراء العامة والتى خلفتها هذه الثورة المعطاء.

إن الباحث ليقف من خلال استعراضه التاريخى على جملةٍ من المطاردات الجسدية والفكرية كذلک, ولعل حقبة معاوية كانت هى الحقبة الحرجة التى مر بها شيعة أهل البيت عليهم السلام وما عاناه هذا الفكر من إلغاءٍ ومطاردة حتى أنّ ابن أبى الحديد

المعتزلی ذکر عن شیخه أبی جعفر الاسکافی بعض ملامح هذا العصر الهائج بمواقفه العاصفة ضد فکر أهل البیت فقال: «وذکر شیخنا أبو جعفر الاسکافی (رحمه الله تعالی) - وکان من المحققین بموالاة علی علیه السلام, والمبالغین فی تفضیله؛ وان کان القول بالتفضیل عاما شائعا فی البغدادیین من أصحابنا کافة, إلا ان أبا جعفر أشدهم فی ذلک قولا, وأخلصهم فیه اعتقادا- أن معاویة وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعین علی روایة اخبار قبیحة فی علی علیه السلام, تقتضی الطعن فیه والبراءة منه؛ وجعل لهم علی ذلک جعلا یُرغب فی مثله, فاختلقوا ما أرضاه, منهم أبو هریرة وعمرو بن العاص والمغیرة بن شعبة, ومن التابعین عروة بن الزبیر.

روی الزهری ان عروة بن الزبیر حدثه قال: حدثتنی عائشة قالت: کنت عند رسول الله اذ اقبل العباس وعلی فقال: یا عائشة ان هذین یموتان علی غیر ملتی أو قال:دینی.

وروی عبد الرزاق عن معمر قال: کان عند الزهری حدیثان عن عروة عن عائشة فی علی علیه السلام, فسألته عنهما یوما فقال: ما تصنع بهما وبحدیثهما والله اعلم بهما: انی لأتهمهما فی بنی هاشم.

قال: فاما الحدیث الأول فقد ذکرناه, واما الحدیث الثانی فهو ان عروة زعم ان عائشة حدثته, قالت: کنت عند النبی صلی الله علیه وآله وسلم اذ اقبل العباس وعلی فقال: «یا عائشة إن سرکِ ان تنظری إلی رجلین من أهل النار فانظری إلی هذین قد طلعا», فنظرتُ فإذا العباس وعلی بن أبی طالب.

واما عمرو بن العاص, فروی عنه الحدیث الذی أخرجه البخاری ومسلم فی صحیحیهما مسنداً متصلاً بعمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یقول: «ان آل أبی طالب لیسوا لی بأولیاء إنما ولیی الله وصالح المؤمنین».

واما أبو هريرة فروى عنه الحديث الذى معناه: أن عليا عليه السلام خطب ابنة أبى جهل فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم, فأسخطه, فخطب على المنبر وقال:

لا والله, لا تجتمع ابنة ولى الله وابنة عدو الله أبى جهل, إن فاطمة بضعة منى يؤذينى ما يؤذيها, فان كان على يريد ابنة أبى جهل فليفارق ابنتى, وليفعل ما يريد...»(1).

إلى غير ذلک من محاولات الحذف والإلغاء للفكر العلوى الذى عانى من آل أبى سفيان ما لايخطر على بال أحد, ولنا ان نقف على ما انتشر من بغض على عليه السلام فى الأقطار حتى قال ابوجعفر الاسكافى فى توصيف الانتماء الأموى للبلدان الإسلامية ما نصه:

كان أهل البصرة كلهم يبغضونه, وكثير من أهل الكوفة وكثير من أهل المدينة واما اهل مكة فكلهم كانوا يبغضونه قاطبة, كانت قريش كلها على خلافه, وكان جمهور الخلق من بنى أمية عليه(2).

ولک ان تقيس على مدى هذا المحنة التى عاشها المنتسبون لآل على وكيف تعامل معهم الحكام وأدّى ذلک الى تهميشهم بل الى مطارداتهم و«من اشد الأيام التى مرت بها الشيعة قساوةً, هو زمن حكومة معاوية بن أبى سفيان, والتى استمرت زهاء عشرين عاما, لم تكن الشيعة بمأمن وكان اغلب رجال الشيعة يشار إليهم بالبنان, ولم تكن لدى الحسن والحسين عليهما السلام اللذين عاصرا معاوية أدنى الوسائل تمكنهم من القيام والقضاء على الأوضاع المؤلمة..(3).

1- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى:4، 63 دار إحياء الكتب العربية الطبعة الثانية 1380-1965.

2- المصدر السابق.

3- الشيعة فى الإسلام للسيد محمد حسين الطباطبائى:55 ذوى القربى قم 1384 هـ.

ولا يمكننا هنا ان نتابع المسيرة التاريخية المؤلمة المضرجة بدماء الشيعة منذ عهود حتى ارتكز فى الذهنية العامة ان المفردة الشيعية بكل مناحيها تعنى المعارضة للنظام الحاكم وان الشيعى مهما كان فهو لا يعنى إلا المعارضة للدولة, حتى وصل الأمر إلى أن الحاكم، الشيعى يعد -عند بعضهم- لا يمثل إلا حالة طارئة, والغريب فى الأمر ان المتسولين السياسيين يصفون السياسى الشيعى بأنه يعوزه الانتماء الوطنى فى حين لا يزال هؤلاء مرتبطين بالمقدس "السياسى", كما ان بعضهم لا يروق لهم السياسة الصادرة من ساسة عراقيين مجاهدين كونهم مصنفين, وهذا التصنيف المذهبى المقيت يأخذ بالبلاد إلى أبعاد كبيرة من الفتنة والتمزق ولا نريد أن نرمى إلى ابعد من ذلك فان العراق الدولة والوطن والمواطن عينة جيدة لدراستنا وسوف نلغى كل المشاهدات الطائفية التى تشارك فى تأصيل هذه النظرة؛ لئلا يخرج البحث عن صياغاته الفنية، ونكتفى بالإشارة إلى دراسة الأستاذ حسن العلوى «الشيعة والدولة القومية فى العراق 1914- 1990» وهى دراسة جديرة بالاهتمام؛ إذ وضع الباحث نقاطا على الحروف لا يستغنى أى احد عن الوقوف عندها والتأمل فيها.

المهم هنا التفريق بين الطائفى والمنتمى.

كل هذه الأمور تدفعنا للتفكير الجدى بمعالجة هذه المعضلة الطائفية والتى انخرط فيها الكثير - للأسف- بوعى مسبق أو بدون وعى، وذلک من خلال الموروثات الاجتماعية, على أننا نرغب فى الإشارة إلى التفكيک بين ما هو طائفى وبين ما هو منتمٍ.

فمن المشكلات الفكرية التى واجهت المثقفين وحتى المتدينين بل انجرّ ذلک حتى إلى العامة, هى مشكلة التشخيص للطائفى ومن هو الطائفى.

فالحديث عن الطائفية والطائفى هو الحديث عن التمذهب السياسى والانتماء الفكرى, فهناک فرق بين التمذهب السياسى الذى يعمل على إبعاد الآخر وتهميشه من خلال الأداة الحكومية أو السياسية التى تدخل فى ترسيم الدولة والمواطنة, فيأخذ البعض

عنوان المذهبية عنصرا مهما فى تحديد معالم المواطنة، وسيكون للانتماء الفكرى فى إقصاء أو تقريب مجموعة على أُخرى، وبذلک ستكون المواطنة تابعة لهذا الانتماء العقائدى وستترتب الآثار السياسية والحقوق المدنية بكل تفاصيلها على هذا الانتماء أو ذاک, فالتمذهب السياسى حينما يكون هو الأساس فى مواطنة المواطن وتمتعه بحقوق المواطنة أو اقصاءاتها فستكون الطائفية الظاهرة بأجلى مصاديقها, وعلى هذا فقد عانى المواطن الشيعى طيلة أربعة عشر قرناً تمييزا طائفيا مقيتا, بل اخذ الأمر ابعد من ذلک فقد وصفت دولٌ شيعية بغير واقعها, ووصمت كياناتها خلاف حقيقتها واتهمت بتهم تتراوح بين طائفية إلى شعوبية حتى إرهابية فى أحايين أخرى, ولا نرغب فى استعراض ما عانته هذه الدولة أو تلک من تنكيل وسحق لحضارتها ومصادرة لجهودها.

لا نريد أن نفتح ملفات القتل الجماعى الذى عاناه أتباع أهل البيت فى عصور أموية وفترات عباسية ألغت معها هوية التشيع من الانتساب الرسمى للدولة أو إلغاء سمة المواطنة عمن ينتسب لمذهب أهل البيت حتى صار ذلک موروثا لكل الأنظمة الحاكمة التى تلت المشهد الأموى أو الحقبة العباسية التى غابت فيها معادلات الانتماء الدينى أو الانتساب الوطنى.

هذه الحالة شكلت محنة فى الذات الشيعية التى عانت التهميش والإلغاء والتعامل معها على أساس المواطنة من الدرجة الأدنى، لكيلا تتبوأ أى مكانة فى منصب من مناصب الدولة سواء فى محافلها السياسية التنظيمية أو محافلها الاجتماعية العامة.

ومن المؤكد ان تبحث هذه الذات المغيبة والشخصية المطاردة عن آليات تحفظ وحدتها وتقاوم ظروف القهر والغلبة الحاكمة على شخصيتها المعنوية ووجودها العام بشكل يمنع معه كل التجاوزات الموروثة "للأقلية الحاكمة" على الأغلبية المحكومة – وكأن هذه المعادلة غير المتوازنة صارت هى العرف السياسى لبلدان الوجود الشيعى– ولأجل الإبقاء على الجماعة الشيعية بكل تراثها وقيمها وفكرها بل حتى وجودها

الشخصى فإنها لابد أن تنتهج منهج المقاومة, ولا اقصد هنا بالمقاومة انها المقاومة المسلحة ففى التشيع ان المقاومة المسلحة هى آخر الحلول, بل هناك المقاومة الايجابية التى تنتهجها الجماعات الشيعية والتى تتخذ المنهج الفكرى والاسلوب الإعلامى برنامجا لنشر فكرها وبيان رؤيتها.

إن المقاومة "الايجابية" فى المفهوم الشيعى يعنى ان هناك مجتمعا تخلقه هذه المقاومة, أو مقاومة تخلق مثل هذا المجتمع, وعلى كلا التصوّرين فان المجتمع الشيعى الذى يؤهل المقاومة أو التى تؤهله المقاومة أو التى تؤهله المقاومة الايجابية يحتاج إلى بناء عقيدى, وهذا التنظيم سنراه ليس تنظيما سياسيا وليس للعسكرة شأنٌ فى تكوينه, بل ولا للحزبية دخلٌ فى تجذيره, بل سنراه تنظيما إنسانيا اعتباطيا تتدخل فيه مجموعة من الاعتبارات الإنسانية التى تدخل فى صياغة المجتمعات المختلفة.

لقد باتت الحاجة ملحة إلى روابط اجتماعية تنمو فى وسطٍ عقيدى يمنح هذه الروابط صفة الشرعية لبناء مجتمعات شيعية تترعرع وسط فكرة التضحية والفداء، أى ترسيخ مبدأ الفداء فى أوساط هذا المجتمع، ومعلوم ان الشعائر الحسينية تكفلت فى إعداد معطيين وتقديمهما:

الأول: فى بناء مجتمعٍ متكامل.

الثانى: ان هذا المجتمع يترعرع وسط فكرة الفداء.

ولابد من الإشارة إلى هاتين القضيتين:

أما الأول

فان المشاعر الاحتفائية بقضيةٍ ما، لابد ان تجعل هذا الاحتفاء سبباً فى تحشيد الوجدان العام الذى يصطف حيال تحقيق قضيةٍ يُراد إثباتها فى وسط يتنكر لها ـ على الرغم من اعترافه بها لكن هذا الاعتراف لم يكن رسميا ـ على ان هذا التنكر يتفاقم إلى

مشروعٍ تصفوى لهذه الفئة المحكومة على يد حاكمها، ولابد ان يكون هذا التعاطى مع أمر كهذا يشكل محنة حقيقية لهذه الفئة المحكومة أو قـل المغلوبـة على أمرها وهى تحاول بطرقٍ مختصـرة تحقيق أهـدافها، ومن ثم الحفاظ على وجودها المغلوب وتناميها المنقهر، فكانت آليات التجمع الشـعائرى اسـلوبا إبـداعيا من اجل تنامى هذه المشاعر الحماسـية التى تفرض على أصـحابها اتخاذ السـلوك الجمعى، أى اسـلوب المجتمعات الوجدانيـة الحاشـدة، وبمعنى آخر فإن التحشـيدات الشـعائرية سـتخلق سـلوكية الجماعة أو سـينخلق لديها«المذاق الاجتماعى»، واقصـد من «المـذاق الاجتماعى» ان المجموعـة الشـعائرية لا تنمو إلا فى وسط اجتماعى يتكتل من اجل تحقيق أهـدافه أو إعلامها إلى الملأ.

إذن صارت الاجتماعية للأوساط الشعائرية ظاهرة، وهى التى نقصدها بالظاهرة الاجتماعية.

فالظاهرة الاجتماعيـة هى مجموعـة الروابط الشـعائرية التى أفرزتها مناسـبة عاشوراء واسـتدعت اتباع أهل البيت إلى الاحتشاد داخل هـذا المحفل الشعائرى الذى يترجم مشاعرهم ووجدانياتهم.

أما المعطى الثانى

فان قضـية الفـداء تتنامى فى المجتمع الشـعائرى بفعل توجهات هذا المجتمع إلى تحقيق أهدافه وهو يتطلب اجتماع أكثر من جهد لانجاز يـدفع فى أكثر من جهـد لإنجاز المهمة الشـعائرية ؛ على أن هذا الانجاز يدفع أكثر الأحيان إلى الحالة الفدائية التى تتصاعد وتائرها لإنجاز المهمة، ولا نبتعد كثيرا عن السـياقات التاريخية الكربلائية التى أنجزت الفداء على انه الظاهرة الأكثر سـطوعا فى أرجاء الحادثة، واؤكد على أن كربلاء أنجزت حالـة الفداء فى تعاطيها مع الأحداث أى ان هناك فداءً كربلائياً خاصاً اختصت به كربلاء بمشاهداتها ومواقف أصـحابها حتى عممت كربلاء هذه الحالة إلى ظاهرة خاصة بها.

الظاهرة... المشاهدات والتجليات

تتجلى ظاهرة الاجتماعية فى المناسبات التى أفرزتها واقعة كربلاء، حيث نجد المناسبات الكربلائية تستمر على مدار السنة وتزدحم المناسبات العاشورائية لإحياء الرمز الكربلائى واذكائه فى نفوس المتوافدين على زيارة الإمام الحسين عليه السلام ذلك الشهيد الذى ضحى من اجل المبادئ الإلهية، وتتصاعد مشاعر الحماس المصحوبة بالولاء كلما اقترب الإنسان من هذا الضريح المقدس الذى يحكى قصة التضحية، لذا فقد سن أئمة أهل البيت عليهم السلام هذه الزيارات والمناسبات، وكان اجتماع الزائرين مألفا بين حشودهم وافرادهم تستنهض فيهم روح التآلف والتعارف فيما بين الجميع وقد تشكل هذه الأثنينية بين الأفراد داعيا مهما للالتقاء والتعارف فيما بين الجميع.

إذن فالظاهرة الاجتماعية إحدى تجليات الشعائر الممارسة والتى تستقطب العديد من أتباع أهل البيت عليهم السلام لتكوِّن شبكة من العلاقات الاجتماعية العامة التى تفتقدها العديد من الانتماءات فى أى مجتمعٍ مدنى عدا المجتمع الحسينى الذى اخذ بالتنامى بالرغم من مطاردات السياسة وتنكيلات الأنظمة الاستبدادية.

الظاهرة الترفيهية

وهى جزء من الظاهرة الاجتماعية أو إحدى آثارها.

يشعر أتباع أهل البيت عليهم السلام - على الرغم من الضغوط النفسية التى يفرضها الآخر نظاما سياسيا أو مدنيا _ على يومياتهم الملأى بالأحداث المفاجئة من تنكيل أو مطاردة أو تهميش أو غمط لحقوقهم أو تجاهل لذاتهم أو النظر إليهم بأنهم الحالة الشاذة غير المرغوبة فى أوساط الآخر إلى غير ذلك من مقتضيات التهميش، وهذا الحصار الاجتماعى يتراكم ليولد حالة إحباط نفسى أو التعرض إلى حالات من الإسقاط، هذا على المستوى النظرى، إلا اننا عمليا لم نلمس هذه الحالة لدى الفرد

الشـيعى أو الجماعـة الشـيعية حتى تلك التى تعيش فى وسط آخر يفرض عليها تلك القيود المـذكورة، اذ ان النفسـية الشـيعية تنغمس فى شعور من الأمل والتفاؤل الـذى يخلصـها من جميع هـذه المكابدات النفسـية وهذا الأمل يتخذ حالة الانتظار لمخلِّص موعود وهو الإمام المهـدى ـ كما هو متبانى عليه فى التراث الإسـلامى سواء الشـيعى أو السـنى على حـد سواء إلا ان الشـيعى تعامل مع هذا التراث النبوى بجديةٍ عاليةٍ وخصوصـية ممتازة اورثته حالة التعايش الواقعى – النفسـى مع هذه القضية المهدوية ولسنا فى صدد استعراضها ـ فعلى الرغم من حالة المضايقة "التقليدية" التى يعيشـها الفرد الشـيعى المحكوم، إلا ان ذلک لم يخلق لديه حالة إحباط أو تعثر فى مسـيرته، فهو يتعامل مع الأحـداث برصانة وكياسة وذلک إضافة إلى حالة الأمل التى تقضـيها النفسـية الشـيعية مع تطلعات الظهور الموعود للمنقذ والمخلِّص، فإنها تحظى بحالة من الطمأنينة العالية فضـلا عن حالةٍ ترفيهيةٍ تعيشـها الشخصـية الشيعية بسبب المناسبات الشعائرية التى يحتفى بها اتباع أهل البيت،فان التجمعات الشعائرية تخلق حالة تعايش بين جميع المشاركين ويتعاظم الشعور المشترک بينهم، وهذا الشعور المشترک هو الذى يوجد حالة التآلف والتحابب بين المشاركين هذا من جهة, ومن جهة أخرى فان تنظيم سـفرات على مدار السنة إحياء لمناسبات أهل البيت عليهم السلام تبعث على الارتياح والشعور العام لدى المشاركين فترى ان هذه "الرحلات الشعائرية" تزيد من الانبساط النفسى لدى الزائر حتى تكوّن حالـة من حالات تجديـد النشاط والشـعور بالحيويـة المتجـددة التى يحتاجها الإنسان المبـدع، لذا فانى لا أبالغ ان الفرد الشـيعى يكون الأبـدع فى مجال عمله لـدى كل الأوساط التى يتعايش معها، إذن فالحالة الترفيهية ضـرورية فى خلق الشخصـية المتكاملة والتى لا تعانى من أى انتكاسات نفسـية، فى حين نجـد الآخر غير المنتسب لمدرسـة آل البيت يعانى من احباطات نفسـية دائمة، وهو وإن يحظى بحركة سياحية معينة إلا ان هذه الحركة السياحية غير هادفة أولا، وغير منتظمة أو منضبطة اجتماعياً ثانياً.

واقصـد من كونها هادفـة أو غير هادفـة، أنّ السـفرات الشـعائرية تهـدف إلى تحقيق هدفٍ غيبى وهو الرضا والأجر الذى سيشـمل الزائر عند وصوله إلى المرقـد المزور أو المشاركة فى إحياء شـعيرةٍ ما، فانه سـيصل إلى حالة الانتعاش الروحى والمعنوى حينما يشـعر انه حقق هدفاً مهماً وهو الحصول على الأجر الإلهى، وقـد تعارف لـدى شـيعة أهل البيت عليهم السـلام اهتمام الأئمـة بهـذه الحركة والدعاء لمن يزور مراقدهم ويتعاهدها خصوصاً زيارة الإمام الحسـين عليه السـلام فإنها تعنى لدى أهل البيت الشـىء الكثير الذى يؤكد على حقوقهم وإبقاء مظلوميتهم شاهـدة عيـان، وحـديث معاويـة بن وهب ملحمـة فى الحث على الزيارة وبيان اهتمام الأئمـة بـذلك واظهار مقام الزائر وشأنه عندهم.

إن معاوية بن وهب حينما دخل على الإمام جعفر الصادق عليه السلام وجده ساجدا وهو يدعو بهذا الدعاء يقول:

«اللهم يا من خصـنا بالكرامة ووعدنا الشـفاعة وخصـنا بالوصية واعطانا علم ما مضى وعلم ما بقى، وجعل أفئدة من الناس تهوى الينا، اغفر لى ولإخوانى وزوار قبر جدى الحسـين الذين أنفقوا أموالهم واشـخصوا ابدانهم رغبة فى برنا ورجاء لما عندك فى صلتنا وسرورا ادخلوه على نبيـك وإجابـة منهم لأمرنـا وغيظـاً ادخلوه على عـدونا أرادوا بـذلك رضـاك فكـافئهم عنا بالرضوان واكلأهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم الـذين خلفوا بأحسن الخلف، واصـحبهم واكفهم شـر كل جبار عنيد، وكل ضـعيف من خلقك وشديد، وشـر شـياطين الإنس والجن. وأعطهم أفضل ما أملوه فى غربتهم عن أوطانهم. وما آثروا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم.

اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم إلينا فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا خلافاً منهم على من خالفنا.

اللهم ارحم تلک الوجوه التی غیرتها الشمس.

وارحم تلک الخدود التی تقلبت علی حفرة أبی عبد الله الحسین.

وارحم تلک الأعین التی جرت دموعها رحمة لنا.

وارحم تلک القلوب التی جزعت واحترقت لنا.

وارحم تلک الصرخة التی کانت لنا.

اللهم إنی استودعک تلک الأنفس والأبدان حتی توفیهم علی الحوض یوم العطش الأکبر.

ولما استکثر معاویة بن وهب هذا لزوار الحسین قال له الإمام علیه السلام:

إن مَن یدعو لزوار الحسین فی السماء أکثر ممن یدعو لهم فی الأرض(1).

هذا الدعاء یؤکد علی ضرورة مواصلة الاتباع لزیارة مراقد أئمتهم لحصول البرکة الدنیویة والأجر الأخروی الذی لا ینال أمثاله إلا بهذه الزیارات الشعائریة. اما کون الاقتصادیة: منتظمة أو منضبطة فان هذه الزیارات ذات هدفیة متوخاة من قبل الزائرین، سواء کانت هذه الهدفیة دینیة _ وهی أولها _ أو سیاسیة، أو اجتماعیة، والهدفیة السیاسیة تعمل علی بعث رسائل للحاکم لیقرأ فیها توجهات الشعائریین أو مطالبهم، والهدفیة الاجتماعیة تسعی الی محاولات التعایش السلمی والاجتماعی بین الشعائریین أنفسهم، وبینهم وبین فئات المجتمع الأخری وذلک من خلال الاحتکاک الاجتماعی بسبب نشوء علاقات بین الجمیع تهدف إلی تقویة أواصر الصِلات والترابط التی تجمع أتباع أهل البیت من خلاله فی کسر الحاجز النفسی الذی ضربه الحاکم علی اتباع أهل البیت وبذلک تجاوزوا محنة المحاصرة، وتخطوا أسباب العزلة التی فرضها علیهم الحکام.

1- کامل الزیارات:116 وثواب الاعمال للصدوق:54 عن مقتل المقرم:111.

الظاهرة الاقتصادية

لسنا فى صدد استعراض الحالة الاقتصادية الشيعية كإحصائية اقتصادية أو اجتماعية، لكننا فى صدد بيانية التلكؤ فى توزيع الثروة فى الغبن الذى أصاب الفرد الشيعى نتيجةً للسياسات الطائفية التى انتهجتها الحكومات المتسلطة على المجتمع الشيعى منذ عقود.

لقد أدت السياسات الطائفية فى العراق _ مثلا _ إلى انتهاج سياسة الفوضى الاقتصادية من اجل ضرب طبقة نامية من التجار الشيعة، ففى عام 1948 بدأت هجرة اليهود من العراق الذين يشكلون طبقة مهمة من تجار العراق، وما إن خلت السوق العراقية من التجار اليهود حتى استطاعت الأكثرية الشيعية أن تأخذ زمام المبادرة فى السوق العراقية، ونمت طبقة التجار الشيعة فى غضون عقد تقريبا حتى بدأت بوادر الاقتصادية الطائفية التى تزعمها النظام الدكتاتورى المتسلط على شيعة العراق عام 1963، ثم تلاه انقلاب 1968 الذى سعى بإسدال الستار على النشاط الاقتصادى الشيعى، وذلک من خلال ملاحقة التجار الشيعة بين إعدامهم وزج البعض فى السجون وتسفير الآخرين إلى خارج العراق بحجة التبعية الأجنبية، وهكذا تلاشت القوة الاقتصادية للشيعة عدا بعض الوجودات لاقتصاديات شيعية متزعزعة ومهددة من قبل النظام تتلاشى بين الحين والآخر.

لم يكن ذلک عائقاً من إبقاء الشيعة فی مكانةٍ اجتماعيةٍ تتحدی معها صعوبات السلطة ومحن المطاردات المفروضة، فالحالة الاقتصادية الشيعية المقهورة تعالجها آليات اقتصادية أخری اصَّلها أهل البيت وأسسوا لها نمطاً اقتصادياً يعتمد علی القرآن الكريم لقوله تعالی:

((وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَیْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِی الْقُرْبَی وَالْيَتَامَی وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ))(1).

وهذه الآية الكريمة تفرض توزيع الثروات الاقتصادية بين الناس علی أساس وضع متجانس يقضی علی حالة الفقر أو يخفف – علی الأقل _ من أزمات الفقر الطبيعية أو المفتعلة، ونمت هذه العلاجية فی الوسط الإسلامی وتركزت خصوصا فی الوسط الشيعی علی اعتبار ان الغنيمة الواردة فی الآية الكريمة هی كل ما يغتنمه الإنسان فی حركته اليومية العملية، وما يجنيه من خلال ممارسات السوق أو المعاملات اليومية وما يكتسبه من خلال عملياته الاقتصادية فضلا عن شمول الغنيمة لغنائم الحرب، فی حين تقتصر المدارس الإسلامية الأخری علی مفهومٍ واحد من الغنيمة وهی غنيمة الحرب دون ان تدخل الغنائم الاقتصادية العملية فی هذا المفهوم، وهو بحث يحتاج إلی تفصيل ليس محله هنا، إلا ـ اننا نريد ان نقف علی أن الفكر الشيعی التزم الاقتصاديات الإسلامية كحلول لمعالجات أزمات الفقر الحادة بين طبقات المجتمع الشيعی هذه المعالجة _ معالجة الخمس _ المنتشرة فی الوسط الشيعی لم تكن هی وحدها تتكفل فی إنقاذ الاقتصاد الشيعی فان آليات أخری أسسها أهل البيت عليهم السلام، وذلک ضمن سياقات شعائرية أسهمت وبشكلٍ فعال فی رفع المستوی المعيشی للوضع الشيعی بشكلٍ مثير، فالمواسم الشعائرية _ مثلا _ فی الزيارات المخصوصة التی يجتمع فيها الملايين

1- الانفال: 41.

من الزائرين تتطلب حركـة اقتصاديـة غير طبيعيـة تـدخل فيها مجالات عـدة منها الفنادق التى يحتاجها جموع الزائرين، ومنها وسائط النقل للقطاعـات الخاصـة التى تتكفـل فى نقلهم، ومنها المطاعم التى تعمل على توفير الوجبات المسـتمرة لإطعامهم، فضـلا عن محلات البيع التى تعمل ليل نهار لرفد الزائرين الذين يتبضـعون لحمل هداياهم الى أهاليهم وأصدقائهم. هذه الحركة الاقتصادية تدفع بالاقتصاد الفردى والاجتماعى إلى مؤشرات غير مسبوقة تنمو من خلالها الدخول الفردية للمجتمع الشيعى، وبمعنى آخر ان القضية الحسينية آثرت الاقتصاد الشـيعى بفعل الحركـة الشـعائرية التى تلت هـذه الواقعة، وشاركت فى ترسـيم الجدوى الاقتصادية الشـيعية، وأسـست بسـببها طبقات من المستثمرين غير العاديين.

لـم تقف الظاهرة الاقتصاديـة عنـد حدود مواسم الزيارات المخصوصة، بل ان هذه الظاهرة _ خصوصا فى العقود الاخيرة _ شـملت الحياة اليوميـة للقطاعات الشـيعية مما تكفَّل بإيجاد مـدخول شـيعى متميز لا يخضع لمضايقات السـلطة، ولا تسـتطيع السـلطة بدورها ان تحدد مسارات الاقتصاد الشيعى الحر، وهو اقتصادٌ حسينى بكل أبعاده، فالحركة "السياسية الشعائرية" مستمرة يومياً على مدار السنة من دون توقف مما اثَّر ذلک فى المدخول الشيعى، بل وفى الشخصية الشيعية المتحررة من هيمنة النظام ومضايقات السلطة.

والحمد لله أولاً وآخراً كما هو اهله حمداً كثيراً دائماً سـرمداً يليق بجلاله وجماله وصلى الله على نبيه المصطفى وآله الميامين المعصومين المنتجبين.

المحتويات

الإهداء. 5

المقدمة. 7

التجليات... 9

ألف – ظاهرة التاريخ التضحوى.. 9

ظاهرة سعيد بن عبد الله الحنفى أو ظاهرة التضحية من اجل القيادة. 10

ظاهرة عابس الشاكرى أو ظاهرة الوقوع على الموت... 10

وظاهرة عابس الشاكرى تلخص بهذا الموقف.... 10

ظاهرة واضح واسلم وظاهرة فناء الذات... 11

باء – ظاهرة الحاضر الحسينى.. 13

القاعدة التأسيسية. 13

اولا: ظاهرة التضحية الشعائرية على المستوى الفردى.. 15

1– ظاهرة الدم العاشورائى.. 16

2– ظاهرة لطم الصدور. 18

3– ظاهرة البكاء الحسينى أو حالة الاستيحاء الشعائرى للذات... 18

ثانيا: ظاهرة التضحية الشعائرية على المستوى الاجتماعى.. 20

ثالثا: الظاهرة السلوكية الشعائرية. 21

1– التكافل الاجتماعى.. 21

2– ظاهرة السخاء الجماعى أو الفردى.. 22

3– ظاهرة البناء الثقافى.. 23

4- ظاهرة السلام والتعايش.... 24

5- ظاهرة القيادة الذاتية. 26

6- ظاهرة العبادة الشعائرية. 26

7- ظاهرة المرأة الشعائرية. 28

ظاهرة الثورية. 31

ظاهرة الألم.. 35

ظاهرة الإيثار. 37

ظاهرة الشجاعة. 41

ظاهرة الصبر. 44

الظاهرة الثقافية. 46

الظاهرة الإعلامية. 53

الإعلام المضاد. 56

الظاهرة القرآنية. 57

الظاهرة القرآنية قبل الشهادة. 58

الظاهرة القرآنية ما بعد الشهادة. 60

القرآنية الزينبية. 63

الزيف المفضوح.. 64

الظاهرة القرآنية وأدبيات الثورة الحسينية. 66

الظاهرة القرآنية فى شعر صالح الكواز. 67

الظاهرة القرآنية.. الثقافة القرآنية. 82

الظاهرة الأدبية. 83

خلق الإبداع الشعرى فى مدرسة أهل البيت... 85

الشعر الحسينى فى حلبة الإبداع.. 87

الظاهرة الاجتماعية. 95

الظاهرة...المشاهدات والتجليات... 102

الظاهرة الترفيهية. 102

الظاهرة الاقتصادية. 106

ص: 111

سلسلة إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

فى العتبة الحسينية المقدسة

تأليف

اسم الكتاب

ت

السيد محمد مهدى الخرسان

السجود على التربة الحسينية

1

زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية

2

زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو

3

الشيخ على الفتلاوى

النوران ـــــ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـــ الطبعة الأولى

4

الشيخ على الفتلاوى

هذه عقيدتى ـــ الطبعة الأولى

5

الشيخ على الفتلاوى

الإمام الحسين عليه السلام فى وجدان الفرد العراقى

6

الشيخ وسام البلداوى

منقذ الإخوان من فتن وأخطار أخر الزمان

7

السيد نبيل الحسنى

الجمال فى عاشوراء

8

الشيخ وسام البلداوى

إبكِ فإنك على حق

9

الشيخ وسام البلداوى

المجاب بردّ السلام

10

السيد نبيل الحسنى

ثقافة العيدية

11

السيد عبدالله شبر

الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزئين

12

الشيخ جميل الربيعى

الزيارة تعهد والتزام ودعاء فى مشاهد المطهرين

13

لبيب السعدى

من هو؟

14

السيد نبيل الحسنى

اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل

15

الشيخ على الفتلاوى

المرأة فى حياة الإمام الحسين عليه السلام

16

السيد نبيل الحسنى

أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم

17

السيد محمدحسين الطباطبائى

حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)

18

السيد ياسين الموسوى

الحيرة فى عصر الغيبة الصغرى

19

السيد ياسين الموسوى

الحيرة فى عصر الغيبة الكبرى

ص: 112

الشيخ باقر شريف القرشى

حياة الإمام الحسين بن على (عليهما السلام) ـــــ ج2

22

الشيخ باقر شريف القرشى

حياة الإمام الحسين بن على (عليهما السلام) ـــــ ج3

23

الشيخ وسام البلداوى

القول الحسن فى عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام

24

السيد محمد على الحلو

الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة

25

الشيخ حسن الشمرى

قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام

26

السيد نبيل الحسنى

حقيقة الأثر الغيبى فى التربة الحسينية

27

السيد نبيل الحسنى

موجز علم السيرة النبوية

28

الشيخ على الفتلاوى

رسالة فى فن الإلقاء والحوار والمناظرة

29

علاء محمدجواد الأعسم

التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمى (LC)

30

السيد نبيل الحسنى

الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام

31

السيد نبيل الحسنى

الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)

32

الدكتور عبدالكاظم الياسرى

الخطاب الحسينى فى معركة الطف ـــــ دراسة لغوية وتحليل

33

الشيخ وسام البلداوى

رسالتان فى الإمام المهدى

34

الشيخ وسام البلداوى

السفارة فى الغيبة الكبرى

35

السيد نبيل الحسنى

حركة التاريخ وسننه عند على وفاطمة عليهما السلام (دراسة)

36

السيد نبيل الحسنى

دعاء الإمام الحسين عليه السلام فى يوم عاشوراء ـــ بين النظرية العلمية والأثر الغيبى (دراسة) من جزئين

37

الشيخ على الفتلاوى

النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـــــ الطبعة الثانية

38

شعبة التحقيق

زهير بن القين

39

السيد محمد على الحلو

تفسير الإمام الحسين عليه السلام

40

الأستاذ عباس الشيبانى

منهل الظمآن فى أحكام تلاوة القرآن

41

السيد عبد الرضا الشهرستانى

السجود على التربة الحسينية

42

السيد على القصير

حياة حبيب بن مظاهر الأسدى

43

الشيخ على الكورانى العاملى

الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها

44

جمع وتحقيق: باسم الساعدى

السقيفة وفدك، تصنيف: أبى بكر الجوهرى

45

نظم وشرح: حسين النصار

موسوعة الألوف فى نظم تاريخ الطفوف ـــ ثلاثة أجزاء

46

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹